الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

القســـــم: اللّغة والأدب العربي.
التّخصص: دراسات لغوية

الاستراتيجية الحجاجية في خطب الحسن البصري

"مقاربة تداولية"

مذكرة مُقدّمة لنيل شهادة الماستر

إعداد:
سعاد فرجاني
نجيمة جارف

إشراف الأستاذة:
فريدة موساوي

لجنة المناقشة

الأستاذ: عبد القادر تواتي..... رئيسا.
الأستاذة:فريدة موساوي..... مشرفا ومقررا.
الأستاذ:بشير بحري.....مناقشا.

السنة الجامعية: 2017/2016.

الإهداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلى

الوالدين الكريمين أطال الله

في عمرهما

إلى الإخوة والأخوات وإلى كل

الأهل والأصدقاء

سعاد ونجيمة

مقدمة

يعّد الحجاج من أهّم مرتكزات التحليل التداولي في عصرنا الحالي، وهو جزء لا يتجزأ من الخطاب وذلك لما يحتويه الحجاج من آليات وأدوات تجعل منه وسيلة لإقناع المتلقي وتقريب وجهات النظر وإيضاح الحقائق ، ولا يتحقق ذلك ما لم يتّسم الخطاب بسماته اللغوية والبلاغية .

ولقد سّاهم هذا الاهتّمام بظهور ما يسمى "بالبلاغة الجديدة"التّي شجّعت على ظهور الكثير من البحوث والدراسات في هذا المجال، تمخّضت على إثرها اتجاهات عملت على تكملة وتجديد ما خاض فيه الفلاسفة والبلاغيين قديما، فالحجاج ليس بدرس حديث ولا مستجد وإنما تعود جذورها إلى اليونان مع مثالية أفلاطون وبلاغة أرسطو، فعمل أصحاب هذه الأبحاث على إعادة النظر في آليات الحجاج وتطبيقاته، انطلاقا من فكرة أنّ اللغة تحمل طبيعة ووظيفة حجاجية تظهر في بنيتها (المعجمية، الصرفية، النحوية والدلالية)، وتناولوه بالدراسة والتحليل من مختلف سماته اللغوية والتداولية والبلاغية.

في حين لم يحظى الحجاج بالاهتمام الكافي في الدراسات العربية الحديثة التي لم تعدو أن تكون مجرد محاكاة للتراث الغربي والعربي القديم، واتجهوا إلى ترجمة أعمالهم بدءا من التراث اليوناني إلى اليوم وقد ظهر الحجاج عندهم من خلال اهتمامهم بالخطاب القرآني ومحاولة فهمه وتفسيره واستنباط الأحكام الشرعية منه.

ولما كان هذا البحث في مفهوم الحجاج يمثل ميدانا واسعا، ويعّد ركيزة لكل النصوص النثرية والشعرية أردنا أن نخصّه بالدراسة محاولين رصد مساره التاريخي من القديم إلى عصرنا الحالي ومعرفة آلياته وتطبيقاته . ومن أجل التعّرف على هذه الآليات واستنباطها عملنا على تطبيقها على جنس من الأجناس الأدبية المهمة، وهي الخطبة محاولين إظهار الإستراتيجية الحجاجية المتبعة التي تساهم في انسجام الخطاب وتماسكه حتى يكون خطابا حجاجيا متكاملا.

ومن خلال كلّ هذا برزت جملة من التساؤلات حاولنا الإجابة عليها ويمكن تلخيصها فيما يلي:

-كيف عرّف الحجاج كمصطلح حديث في التراث القديم ؟

-ما هي الآليات الحجاجية المعتمدة في دراسة النصوص؟

-هل تمكّن "الحسن البصري" من توظيف أشكال حجاجية تتوافق وآليات البلاغة الجديدة ؟

-ما هو الدّور الذّي لعبته هذه الآليات في خطب الحسن البصري؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وتوضيحها عمدنا إلى تقسيم هذا العمل إلى فصلين، فصل نظري وفصل آخر تطبيقي فأما الفصل الأوّل فجاء بعنوان" في مفهوم نظرية الحجاج"، وقد قسّمناه إلى مبحثين الجزء الأوّل عنوناه "بالحجاج بمفهومه العام" فتعرضنا فيه إلى مفهومه الحجاج عند كل من الفلاسفة والبلاغيين العرب، وعلماء الأصول والكلام والذي تجسّد عندهم بين الجدل بنوعيه المناظرة والخطابة وبين البيان والاستدلال، أمّا الجزء الثاني من الفصل فكان بعنوان الحجاج من منظرو البلاغة الجديدة والتداولية، تطّرقنا فيه إلى النظرة الجديدة للحجاج والذي برز مع أعمال كل من بيرلمان وتيتكا "وديكرو بالإضافة إلى بعض نماذج من أعمال الباحثين العرب في عصرنا.

أمّا الفصل الثاني أقمّناه عل دراسة تطبيقية على خطب "الحسن البصري" وعنوناه بآليات الحجاج في الخطبة ، وتناولنا فيه الآليات الحجاجية اللغوية /التداولية والآليات البلاغية الواردة في الخطب.

وانهينا البحث بخاتمة ذكرنا فيها جملة النتائج التوصل إليها.

ولقّد اعتمدنا بتحليلنا لهذا الموضوع المنهج على المنهج التداولي كونه الأنسب لهذا النوع من الدراسات ،ولأنّ الحجاج من أهم مكونات هذا المنهج التداولي، وعمدنا على استخراج الآليات التي اعتمدها الخطيب ووظفها في خطابه.

وللبحث في هذا الموضوع استدعى الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها : كتاب جمهرة خطب العرب"لأحمد أمين صفوة"، نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود، الحجاج في البلاغة المعاصرة لمحمد سالم"، خطاب الحجاج والتداولية عباس حشاني"الحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة"، اللغة والحجاج لأبوبكر العزّاوي"،بالإضافة إلى كتب ومجلات ساعدتنا على إتمام بحثنا.

وفي الأخير الشكر موصول إلى الأستاذة المشرفة" فريدة موساوي" التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها وملاحظاتها المستمّرة في سبيل إتمام هذا العمل.

الفصل الأوّل: في مفهوم نظرية الحجاج

المبحث الأول: الحجاج بمفهومه العام

1-في التراث الغربي

2-في التراث العربي

المبحث الثاني: الحجاج من منظور البلاغة الجديدة

1-عند العلماء الغرب

2-عند المعاصرين العرب

المبحث الأوّل:الحجاج بمفهومه العام:

يعّد الحجاج من أهّم قضايا البلاغة قديما وحديثا، وقد اندّرج قديما في إطار مجموعة من المباحث كالخطابة والبلاغة وفّن الإقناع كما ورد في الثقافتين الغربية والعربية بتسميات مختلفة كالجّدل، التناظر البيان وغيرها من الأطّر في مؤلفات اليونان والرومان وصولا إلى العرب،وعلى هذا نركّز على التطوّر التّاريخي للحجاج عند كل من الفلاسفة والبلاغيين و كذا علماء الأصول والكلام .

1: الحجاج في التراث الغربي:

لا يخفى أنّ النّظر في الحجاج والبحث في أصنافه وتقنيّاته لا يتسنّى بدون الانطلاق من بداية تنظير السفسطائيين وآراء أفلاطون وأرسطو الذّين قدّموا الكثير من الأساليب الحجاجية المهمة التي أصبحت من المكونات المحورية في عمليات الحجاج من بعدهم، وسنحاول الوقوف على ما قدمه هؤلاء الفلاسفة الغربيين.

1_1: الحجاج عند السفسطائيين :

لعب السفسطائيون دورا كبيرا في النهوض بالفلسفة اليونانية التي عرفت بفضلهم تطورا وازدهارا في مجال القول والكلام، ولقد انصرفت فلسفة السفسطاء من الاهتمام بالطبيعة إلى الاهتمام بالإنسان العاقل الحكيم المدبر وخصته بالبحث والدرس، وما ميّز رواد هذه الحركة تمتعهم بالبلاغة اللغوية والخبرة الجدلية.

وقد كانت غايّة السفسطاء في ممارسة الحجاج الوصول للسلطة، وذلك بتعليم الشباب فنون الخطابة الجدل لكسب الناس كما قال بروتاغوراس :« أوافق على أنّي سفسطائي وظيفتّي تعليم النّاس.»[1]

فقد اتّخذوا التعليم حرفة لهم وتوجهوا إلى تعليم النّاس فنون البلاغة وحسن الإلقاء والسياسة والصرف والنحو وغيرها من العلوم .« بذلك كانوا يعلمون كيف يكسبون خصومهم بكل الوسّائل، باللّعب بالألفاظ والاستّعارات والكنّايات الجذّابة وخداّع المنطق وتمويه الحقيقة، ومن اجل ذلك سمّي اللّعب بالألفاظ والتهريج بالحجج "سفسطة" اشتقاقا من السفسطائيين»[2]، وعلى هذا كانت غايّتهم تعليم طلبتهم بلاغة الإلقاء وحسن القول والقدرة على الجدل، إمّا بفكرة صحيحة أو التلاعب بالألفاظ وعلى أي وجه كان سواء بالحق أو الباطل.

ويظهر الحجاج في دراساتهم انطلاقا من اهتمامهم:«ببنية الكلمة والجملة والبحث في السبل الممكنة لتحقيق الإقناع وتغيير مواقف الآخرين، وقد استعانوا في سبيل تلك الغاية بخبرة بالغة في مقامات الناس والقول معا، وأيضا آليات أجزاء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية»[3]، هذا يعني أنّ اهتمامهم انصب حول البنية والكلمة بهدف التأثير في الناس، وذلك بمراعاة مقاماتهم وسياق القول ومقاصده وظروف التواصل واستعانوا في ذلك بكفاءتهم اللغوية والبلاغية في توظيف الأساليب الإقناعيّة التأثيرية (الاستعارات ،الكنايات...) بهدف تغيير مواقف السامعين لكسب الناس

[1]- هشام الريفي،الحجاج عند أرسطو،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود،جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية،تونس1،كلية الآداب منوبة،ص:394.

[2]-احمد أمين وزكي نجيب محمود،قصة الفلسفة اليونانية، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،1935ص94

[3]- عباس حشاني، خطاب في الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد-الأردن، 2014، ص21 .

كما عمد السفسطائيون في ممارستهم الحجاج إلى :«بناء حججهم على فكرة النفعية المتعلقة باللّذة، أي الهوى، وليس النفع المتعلق بالمثل والخير »[1]، ذلك يعني أنهم غلّبوا كل ما هو نافع وكل ما من شأنه أنّ يحقّق لهم اللّذة والنفع على الخير والقيم الأخلاقية، وهذه الفكرة تعتبر مدار الصراع بين أفلاطون والسفسطائيين، فنقدهم هذا الأخير لتبنيهم فكرة النفع واللّذة واعتبرت نتائجهم ظنّية منبعها الهوى واللّذة وهي بعيدة عن تحقيق الخير والمثل والأخلاق .

"فأرسطو" نقد السفسطائيّين من ناحية استعمالهم للمغالطات والتلاعب بالألفاظ حتى وان كانت مخالفة للواقع،فهذه وسيلتهم لتحقيق الإقناع«فالسفسطائيّون وجدوا أنّ خير وسيلة لإقناع خصومهم بأنهم على حق هو إقناعهم بأي وسيلة كانت، ولو كان ذلك على حساب الحق وعلى رقاب الآخرين، وكان سبيلهم في تحقيق مطالبهم هو الخطابة باستعمال الكلمات الرنّانة التي لها وقع في أذن السامع والتأثير في نفسه، فزخرفوا أقوالهم بعبارات محبّبة إلى السامع واعتمدوا إثارة العواطف بدلا من استعمال الحجّة والبرهان»[2]

ومن خلال ما تطرقنا إليه نستنتج أن نظرية الحجاج عند السفسطائيين تتمثل في الخدع الكلامية والتلاعب بالألفاظ والهروب من الحقيقة باستعمال حجج واهية وخدّاعة بهدف إقناع المتلقي، ولكن على الرغم من هذا فإن السفسطائيين كانت لهم مساهمة كبيرة في البحث اليوناني، فلولا النظرة السفسطائية لما بذل أفلاطون وأرسطو جهودا جبّارة في حقل الفلسفة , كما أنّ الدراسات المعاصرة أعادت الاعتبار لأرائهم لما فيها من قيّم لغوية بلاغية ومعرفية .

[1]- محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، 2008، ص 20.

[2]-محمد حسن مهدي بخيت ،المنطق الأرسطي بين القبول والرفض ، ط1 ، عالم الكتب الحديث ، اربد-الأردن 2014 ، ص12.

1-2-الحجاج عند أفلاطون :

تمثّلت معالم الفلسفة الأفلاطونية من خلال الجدل مع السفسطائيين فقد ثارأفلاطون ضد آرائهم و عمل على تفنيدها, فبالنسبة له هي ليست مؤدية للحقيقة وبعيدة عن الواقع ونتائجها نسبية غير ثابتة .

وقد اعتمد أفلاطون لمواجهة الممارسات الحجاجية السفسطائية على محاورتين هما محاورة "غورجياس"و "فيدر" نقد فيهما البلاغة السفسطائية بصورة عامة .

ففي محاورة "غورجياس" بحث فيها موضوع الخطابة ووظيفتها . « في المقطع الأوّل فحص موضوع الخطابة في ضوء مقابلة علم(science) / الظن (opinion) وذكر أنّ الإقناع نوعان إقناع يعتمد على العلم ، وإقناع يعتمد على الظن، والإقناع بالاستناد إلى الظّن هو موضوع الخطابة السفسطائية في رأيه.»[1]،في هذا المقطع خيّر أفلاطون العلم على الظّن لأنّ هذا الأخير قائم على الاحتمال في حين أنّ العلم مبدؤه الصدق والثبات .

أمّا المقطع الثاني من المحاورة «قيّم أفلاطون وظيفة الخطابة في ضوء المقابلة خير/ لذّة، وذكر أنّ هناك صنائع أربعة تحقّق الخير للإنسان,وجسمه ونفسه والعدل»[2]في هذا المقطع قابل أفلاطون بين الخير واللّذة وغلّب الخير لما يعود على الإنسان بالنفع في جسمه ونفسه، على عكس ممارسات الحجاجية الخدّاعة التي لا تؤدي للحقيقة والخير فهو بذلك اهتم بالعلم ووازنه بمعيار الخير.

[1]- فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص63.
[2]- مرجع نفسه، ص64.

أمّا محاورة "فيدر" «كان مبدؤها الفتنة بالحجاج السفسطائي،فكان كلّها استدراجا للخروج من هذه الفتنة ... والأمر الذي أزعج أفلاطون هو اكتساح ذلك الحجاج وافتتان الشّباب به ولذلك حاول ببعض محاوراته أن يغيّر ذلك الوضع»[1]،نفهم أنّ أفلاطون قد أقام هذه المحاورة لدحض الحجاج السفسطائي الذي اكتّسح عقول الشباب،فحاول إثبات أن حجاجهم قائم على المناورات والأكاذيب وإثارة عواطف السامعين بحجج زائفة مزخرفة ولو كان ذلك مناقض للحقيقة، وذلك ما دفعه لنعتهم بأدعياء العلم والمعرفة.

ونخلص إلى أنّ أفلاطون يعتبر معياريّ الحق والخير أساس لكل حجاج و بلاغة تعود بالنفع على الفرد والمجتمع. فقد كان اهتمامه بالحجاج الأخلاقي المثالي، ففلسفته فلسفة مثالية تعتبر علم المثل والأخلاق هي الأصل .

1-3-الحجاج عند أرسطو:

يعتبر "أرسطو" المرجع الأساسي لمن جاء بعده من غرب وعرب فيما يخص العملية الحجاجية، فبلاغته أخذت منحنى مختلف وانفصلت عن النظريات الفلسفية السابقة، بداية من سقراط وبلاغة السفسطاء وحتّى أفلاطون صاحب المدينة الفاضلة فبلاغته كانت بلاغة استدلال أكثر منها بلاغة مشاعر.

فدراسة "أرسطو" للحجاج قامت على ركيزتين الأولى اختزلها في مفهوم الاستدلال والثانية تقوم على البحث اللّغويوالاستدلال عند أرسطو « تفكير عقلي يتم إنتاج العلم .»

[1]-فريق البحث في البلاغة والحجاج،أهم نظريات الحجاج في التقليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص69.

ويعرفه أيضا « قول مؤلف من أقوال إذا سلم به لزم عنه بالضرورة قول آخر»[1]فحصول ملكة العلم عند أرسطو تقوم على الاستدلال بحيث ينطلق من مقدمات ليصل إلى نتائج ترتبط بها بالضّرورة، وكان تركيز أرسطو على القياس باعتباره أكثر صور الاستدلال أهمية، فالحقيقة فيه ضرورية ولازمة وواحدة، فهو يؤسس فهمه للحجاج على منطلقات منطقية استدلالية .

أمّا الركّيزة الثانية في الحجاج الأرسطي يتمثل في :« البحث اللّغوي في علاقته بالإنسان والوجود، فأكّد بذلك أنّ الإنسان لا يحيا إلاّ باللغة وإدراكه لذاته ووسطه لا يتّم إلاّ بها .»[2]، فاللّغة حسب أرسطو تمثل إنسانية الإنسان، فيها يدرك ذاته ويتعرّف عليها وعلى مكوناتها وبها يثبت وجوده ويتواصل مع محيطه فلا يستطيع الإنسان أن يحيا بدونها .

كما تطّرق أرسطو أيضا إلى فن الخطابة ودور الحجاج في تقوّية الخطاب، وجعل ثلاث عناصر للخطابة هي:« وسائل الإقناع أو البراهين، الأسلوب أو البناء اللغوي ترتيب أجزاء القول...»[3]، هنا قام أرسطو بتحديد مراحل إنتاج القول، وبالنسبة له تتمثل في البحث عن الحجج والوسائل الإقناعية المناسبة للمقام والخطاب حتى تكون هذه الحجج ناجعة ومؤثرة في السامعين، وهنا يبصر الخطيب الحجّة المناسبة ويحسن توظيفها حسب الأحوال لتلقي القبول من قبل المتلقين، ويقول بحسن ترتيب هذه الحجج

[1]-محمد سالم محمد الأمين الطلبة ،الحجاج في البلاغة المعاصرة , ص36.

[2]- المرجع نفسه، ص40.

[3]-محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ط2، منتديات سورالأزبكية، إفريقيا الشرق، ص20.

فتوضع كل منها في مكانها المناسب في الخطاب وكل ذلك حسبه يكسب الخطاب سيمته البلاغية الحجاجّية .

ويميّز أرسطو بين ثلاث مستويات من الحجج (الإيتوس، الباتوس ، اللوغوس) في علاقتها بالأفعال الثلاث : الخطيب ، المستمع ، الخطاب.

كما خالف "أرسطو" أستاذه "أفلاطون" في فلسفته المثالية التي جمعت بين البلاغة والأخلاق والحقيقة « ومخالفته لأستاذه تنطلق من مسلمتين، أولا جعل البلاغة آلية غير مبالية للأخلاق ولكنّها ليست منافية لها،...ومن جهة أخرى جعل البلاغة تقنية حجاجية لما هو قابل للصواب وليس للحقيقة»[1]، إنّ أرسطو لم يقيّد البلاغة بالأخلاق فهو يرجع استعمالها إلى ضمير الشخص الذي يمكن أن يوظّفها إمّا للخير أو الشر، كما فصل البلاغة عن الأخلاق وحرّرها وعمل على تطويرها كتقنية حجاجية عمادها الحجاج وقوامها عناصر العملية التواصلية من مخاطب، متلقي وخطاب.

2-الحجاج في التراث العربي :

2-1-عند الجاحظ:

يعتبر الجاحظ "من أقطاب البلاغة العربية القديمة الذّين تناولوا الحجاج في مؤلّفاتهم وأخذ النصّيب الأوفّر من الاهتمّام البلّيغ لما له أهمية في نجاح عملية الخطاب، وقد ظهر الحجاج في

[1]- فيليب بروتون وجيل جوتيه،تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ط1، مركز النشر العلم جدّة المملكة السعودية، ص28.

كتابه "البيان والتبيين "، وجعل جلّ الباحثين آرائه في الحجاج منطلق لتطور الدراسات اللّغوية في مجال الحجاج

وقد ورد الحجاج عند "الجاحظ "بمعنى البيان وعرّفه على النحو التالي :« هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان...لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأفصحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1]،من تعريف "الجاحظ" للبيان يتبين لنا العلاقة بين الحجاج والبيان، فالبيان وسيلة للكشف عن المعنى وإيضاحه وغاية الكلام فيه الفهم والإفهام و إزالة اللبس والغموض لتحقيق الإذعان والإقناع وكل هذه العناصر تعدّ مكوّن من مكوّنات العملية الحجاجية .

ويشير الجاحظ إلى آليات البيان و وسائله « أنّ البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصيغة، و إلى سهولة المخرج ومهارة النطق، وحاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجة إلى الجزالة والفخامة وأنّ ذلك من أكبر ما تستمال بالقلوب»[2]، من هنا يتبين أن آراء الجاحظ في البيان تنطبق على الآليات والوسائل الحجاجيّة في التداولية الحديثة، فهو يقدّم الآليات والوسائل التي من شأنها أن تساهم في البيان و الإفهام الذي يستلزم الخبرة والحذف وضرورة الاستشهاد للحجج

[1]-الجاحظ،البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، ط ، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998 ص76 .

[2]- محمد حشاني ،خطاب الحجاج والتداولية ، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي ، ط1، عالم الكتب الحديث إربد-الأردن ، 2014، ص31 .

وترتيبها ترتيبا مناسبا مع حسن صياغة الألفاظ وتخيّر قولها، وكل هذا كفيل بتحقيق الإقناع، وهذا ما يخّص العناصر الحجاجية الآن والتي تهدف إلى استمالة القلوب وإقناع السامعين والتأثير عليهم.

وأساس البلاغة عند الجاحظ هي مراعاة أحوال المخاطبين والخطاب، وانّ البلاغة والحجاج مترادفان إذ يتقاطعان معا في إقناع والتأثير على المتلقي،ويرى بأنّ الكلام يؤدي وظيفتين:« وظيفة خطابية وما يتّصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج، وأخرى إفهامية من وإفهام وبيان وتبيين»[1] ، إذن فمفهوم البيان مرادف للبلاغة والحجاج، و قد انحصرت وظيفة البيان عنده في البعدين المعرفي والإقناعي.

ويرى محمد العمري أنّ مادة البيان والتبيين لا تخرج عن ثلاثة محاور:

-وظيفة البيان وقيمته (الإفهام والإقناع).

-العملية البيانية وأدواتها.

-البيان العربي قيمته وتاريخه»[2]

فالمحور الأوّل المتمثّل في وظيفة البيّان وقيمته تتجلّى في التأثير والإقناع والفهم والإفهام واستمالة العقول، أمّا المحور الثاني فيختصّ بالأساليب والأدوات البيّانية المستعملة في العملية الحجاجية فهي وسيلة أساسها إحكام الحجّة، أمّا المحور الأخير فتمثل في الدفاع عن هذا البيان وتقاليده ضد كل متطرف،وينوّه "الجاحظ" إلى أهمّية

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة العربية ، ص211 -212

[2]-محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق ، بيروت لبنان ،1999،ص193.

الصـوت والإشّـارة لنجـاح العمليّـة الخطابيّـة ويقـول:« والإشّـارة واللّفـظ شـريكان ونعـم العـون هـي لـه ونعـم التّرجمـان هـي عنـه، ومـا أكثـر مـا تنـوب عـن اللّفـظ ومـا تغنـي عـن الخـط »[1] يؤكـد "الجـاحظ" علـى أهمّيـة الوسـائل غيـر اللّغويـة ويركّـز علـى الإشّـارة ودورهـا المهّـم فـي الإفصـاح عـن المضـمون اللّفظـي، وتعتبـر حجّـة ودلّيـل لحمـل السـامع علـى تبنّـي رأي مـا أو رفضـه، فهـي بـذلك معينـة للّفـظ وتزّيـد مـن درجـة بيانـه و تـأثيره فـي الخطـاب. وبـذلك تعّـد الإشـارة مـن دعـائم الحجـاج ومـن أهّـم وسـائله التّـي تعمـل علـى تأكيـد وتوضـيح الهـدف والمقصد دون تصريح .

ومـن خـلال مـا تطرّقنـا إليـه نخلـص إلـى أنّ الهـدّف الأسّاسـي فـي البيّـان هـو الفهـم والإفهـام بوسـائله اللّغويـة وغيـر اللّغويـة، وأنّ الجـاحظ بتقديمـه لمفهـوم البيّـان تظهـر علاقتـه بالحجـاج والإقناع، ومعالجته له ساهم كثيرا في إثراء البحث الحجاجي ومصطلحاته .

2-2- الحجاج عند السكاكي:

اهـتّم السـكاكي فـي كتابـه "مفتـاح العلـوم" بالبلاغـة وعلومهـا، فهـو مفتـاح لعلـم سـمّاه علـم الأدب جمـع فيـه حصـيلة أنـواع مـن العلـوم الأدبيـة وهـي علـم النحـو والصـرف وعلمـي المعـاني والبيـان وكـذا المنطـق، يقـول « وقـد ضـمّنت كتـابي هـذا مـن أنـواع الأدب دون نـوع اللّغـة، مـا رأيتـه لا بـد منـه، وهـي عـدّة أنـواع متآخـذة، فأودعتـه علـم الصـرف بتمامه..وأوردتـه

[1]- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن ، 2012، ص48.

علم النحو بتمامه وتمامه بعلمي المعاني والبيان»[1]، يؤكد هنا "السكاكي" على أهمية تآلف هذه العلوم فيما بينها لتحقيق البيان ودورها الكبير في جعل الخطاب بيّنا، ناجعا ومؤثرا.

ويعرّف "السكاكي" البيان بقوله« هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه.»[2]،فالبيان حسب "السكاكي" ضرب من الاستدلال وأنه على المتكلم احتراز الوقوع في الخطأ عند الانتقال بالدلالات، وهنا محاولة لإظهار دور الاستدلال والمنطق في تحقيق المقصد الخطابي مثله مثل النحو، فقد جمع بين علم النحو والمنطق لأنّ بلاغته تعتبر منطقة تقاطع النحو(علم المعاني) والمنطق وعلم البيان.

ويشاطر هذا التعريف للبيّان "القزويني" الذي تأثر هو الآخر بالمنطق وجاء تعريفه للبيان موافقا لتعريف "السكاكي" ومركزا على الدلالة اللزومية إذ يقول :« إنّ دلالة اللفظ إما ما وضع له أو على غيره »[3]،إذا فبلاغة "السكاكي " بلاغة عامة تراعى فيها جميع المستويات التي تدخل في تشكيل الخطاب، والاستدلال من المفاهيم المهمة والمتعلقة بالدرس الحجاجي وحقيقة الاستدلال لديه أن يستلزم شيء شيء أخر إمّا بالنفي أو الإثبات ويظهر هذا في حديثه عن الدلالة بقوله: «...وإنّ دلالة الالتزام أهّم الدلالات وأقربها للحجاج، بالنظر إلى القياس ومقارنته بصفة الأفعال فيها من اللاّزم إلى الملزوم

[1]-السكاكي ،مفتاح العلوم ، تحقيق نعيم زرزور ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 1987، ص06

[2]- المرجع نفسه، ص162.

[3]-محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم اللغة، ط، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، 2003 ص131

نحو قولك: أمطرت السماء نباتا أي غيثا، من مجازات من اللازم للملزوم، وإنّ الكناية ينتقل فيها كذلك نحو فلان طويل النجاد والمراد طويل القامة»[1]، هنا يظهر أنّ البيان وسيلة للاستدلال، وأنّ الأساليب البيانية من مجاز واستعارة وكناية كلها تعتبر وسائل ذات وظائف حجاجية يستدّل بها في الخطاب كدليل وحجّة يستعملها المتخاطبون.

ويعتبر ذلك تأكيد على تماثل صاحبّي البيّان والاستدلال بحيث يمكن اعتبار الصّورة البيّانية مقدمة كبرى تؤدي في النهّاية إلى استنتّاج أو نتيجة تكون مطروحة في المقدمة .

من هذا الطرح نخلص إلى أنّ "السكاكي" بنظرته المنطقية الاستدلالية أراد الوصول إلى أنّ الأساليب البيانية والأساليب الاستدلالية تنتهجان نفس المنهج وتلتقيّان في نهاية التحليل عند آلية واحدة هي آلية اللزوم، وأنّ الهدف والمقصد واحد وهو الإقناع والتأثير.

3-2- الحجاج عند علماء الأصول والكلام:

بعد تطرّقنا إلى نظرة العلماء العرب أصحاب البلاغة العربية القديمة مع كل من "الجاحظ "و "السكاكي"، سنحاول التعرض إلى كيفية تناول الأصوليين والكلاميين لمفهوم الحجاج الذي ظهر من خلال الدراسات المتنوعة للخطاب القرآني.

[1]-عباس حشاني ،خطاب الحجاج والتداولية، ص40.

لقد كان الخطاب القرآني محل اهتمام جل العلماء قديما وحديثا، من أصوليين وكلاميين وفقهاء ومفسرين، وقد انصبت دراساتهم في فهم كلام الله تعالى وبيان إعجازه وبلاغة ألفاظه، واستنباط أحكامه الشرعية .

ونجد أنّ علماء الأصول قد تناولوا الحجاج باهتمامهم بالخطاب الشرعي وهو عندهم « إمّا خطاب الله وإمّا خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وإمّا خطاب الأمة واهتموا بمقاصد الشريعة، وهي مقاصد الخطاب و ربطوا الأحكام بمقاصدها»[1]،يظهر أنّ هدف الأصوليين هو معرفة مقصد وغاية كل خطاب، خاصة الخطاب القرآني واستنباط أحكامه واعتباره أكثر خطاب يحوي طبيعة وصفة حجاجية ، فجل آياته حجج وبراهين تأكد على وحدانية الله تعالى وتدعو إلى الإيمان بعقيدته.

وعمد أيضا علماء الكلام إلى إثبات التنزّيه القرآني من كل الأكاذيب والمغالطات ودفاعهم عنه والرد على الخصوم والمتطفلين عليه، وقد ظهر الحجاج عندهم من إقناع الخصوم بالحجج والبراهين العقلية وإبطال دعواهم، وذلك ببيان بلاغته وحكمته واتساق نصه وانسجامه .

وقد ورد الحجاج في كثير من مؤلفات كل من الأصوليين والكلاميين، ومن بين هذه المؤلفات نجد "ابن حجة " الذي يعرفه بقوله :« هو أن يأتي البليغ على صحّة دعواه وإبطال دعوى خصمه

[1]-خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ط، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الاردن،2008، ص113.

بحجة قاطعة عقلية(...) فعلم الكلام هو إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة»[1]، ويظهر الحجاج هنا بمعنى الجدل .

ونجد أيضا "ابن وهب" قد ربط الحجاج بالجدل والمجادلة في كتابه "البرهان في وجوه البيّان بقوله:« وأمّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجّادلون .»[2]، من كلام "ابن وهب" يظهر أنّ الحجاج عنده مرادف للجدل الذي هو تقديم وإقامة حجج وبراهين من طرف المتخاطبين، ويعمل كل طرف بإقناع خصمه لأجل الأخذ برأيه أو معتقده.

أمّا" أبو الوليد الباجي" فيعّد الحجاج من أرفع العلوم، وقد عرّفه في كتابه "المنهاج في ترتيب الحجاج" بقوله:« الحجاج هو السبيل إلى معرفة الاستدلال وتميّيز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة ولا اتّضحت محجّة، ولا علم صحيح من سقيم ...»[3]، يظهر من تعريف "الباجي" بأنّه لولا الجدل لما قامت الحجة ولا عرف حق من باطل، والملاحظ أنه هو أيضا أردف الحجاج بالجدل .

[1]- تقي الدين علي، خزانة الادب وغاية الارب، شرح عصام سعيتو، ج1، ط1، منشورات دار ومكتبة دار الهلال، بيروت –لبنان 1987، ص346.

[2]- ابو الحسن اسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح:جفنى محمد شرف، مطبعة الرسالة، 1930، ص176.

[3]- أبو الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت- لبنان، 2001، ص8.

المبحث الثاني: الحجاج من منظور البلاغة الجديدة والتداولية :

بعد تطرقنا لجهود القدماء ونظرتهم إلى الحجاج والتي تجسدت عندهم بين الجدل بنوعيه المناظرة والخطابة وبين البيان والاستدلال والبرهان وغيرها، فإنّ هذا الموروث القديم قد أعطى نظرة عامة والتي كانت بمثابة الركيزة الأساسية التي قامت عليها نظرية الحجاج المعاصر.

وسنتطرق في هذا الجزء من البحث إلى التطور الذي طرأ على التصور القديم للحجاج والتي أعادت التداولية بعثه من جديد، وتعاطت معه بنظرة وقراءة جديدة وظّف فيها ما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة.

لقد ظهر الحجاج كمبحث أساسي في البلاغة المعاصرة وعرف اهتمام كبير، بحيث برز بشكل واسع في بحوث وأعمال المدارس الغربية أهمها المدرستين البلجيكية والفرنسية، من خلال مؤلفاتهم التي سلكت اتجاهات مختلفة مع "بيرلمان وتيتيكا وميشال مايير" ، وأيضا"ديكرو وانسكومبر" وغيرهم، بالإضافة إلى الجهود العربية التي عملت على إعادة قراءة التراث البلاغي في ضوء الدارسات النقدية المعاصرة.

1- الحجاج عند علماء الغرب:

1-1-بيرلمان وتيتكا :

قد أضحى مصطلح الحجاج مفهوما واسعا وأصبح مجالا لكل العلوم ، وتعد المدرسة البلجيكية أوّل من تطّرق لهذا البحث من خلال كتاب بيرلمان وزميله الموسوم ب"البلاغة الجديدة" حيث عبّرا في كتابهما عن نظرية جديدة في الحجاج، وتكمن الغاية من تأليف

هـذا الكتـاب فـي إخـراج الحجـاج مـن دائـرة الخطابـة والجـدل :« فقـد عمـل الباحثـان علـى تخلـيص الحجـاج مـن التهمـة اللاّصـقة بأصـل نسـبه وهـو الخطابة...وأيضـا علـى تخليصـه مـن صـرامة الاسـتدلال الـذي يجعـل المخاطـب بـه فـي وضـع ضـرورة وخضـوع واسـتلاب، فالحجـاج عنـدهما معقوليـة وحريـة »[1]، فالحجـاج عنـد "بيرلمـان " مخـالف للخطابـة والجـدل الـذي ميّـز دراسـة أرسـطو، إذ هـو حريـة اختيـار واسـتعمال للعقـل علـى عكـس الاسـتدلال الـذي تحكمـه الاعتباطيـة واللامعقولـة والـذي يلـزم السـامعين علـى التسـليم بـالرأي الآخـر بالضـرورة والإلزام .

وتعتبـر البلاغـة الأرسـطية محفّـز لبلاغـة "بيرلمـان" وزميلـه، حيـث عمـلا علـى بنـاء بلاغـة مـن خـلال تجديـد آراء أرسـطو:« ارتبطـت البلاغـة عنـد أرسـطو بالحجـاج والخطـاب الإقنـاعي وهـذا مـا نجـده عنـد "بيرلمـان وتيتكـا "..ويمكـن اعتبارهـا بلاغـة أرسـطية جديـدة ولكـن فـي ضـوء رؤيـة جديـدة.»[2]، فقـد حّـاول الباحثـان إعـادة الطّـابع الفلسـفي لآراء أرسـطو كونهـا تحصـر البلاغـة فـي الإقنـاع، فكـان عملهـا منـدرجا ضـمن الأثـر الأرسـطي الـذي يعتبـر نقطـة انطلاقـة للبلاغـة الجديـدة ،وأهّـم تعريـف يقدمـه "بيرلمـان" للحجـاج هـو«موضـوع نظريـة الحجـاج هـو دراسـة تقنيـات الخطـاب التـي مـن شـأنها أن تـؤدي بالأذهـان إلـى التسـليم بمـا يعـرض عليهـا مـن أطروحـات أو تزيـد فـي درجـة ذلـك التسـليم»[3]، يظهـر أنّ الحجـاج عنـده قـائم علـى تقنيـات وآليـات حجاجيّـة بلاغيـة ومنطقيـة يوظّفهـا المحـاجج فـي خطابـه والتـي

[1]عبد الله صولة ،في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، ط1 ، مسكيلياني للنشر ، تونس ، 2011، ص12.11 .

[2]-جميل حمداوي ،نظريات الحجاج ، شبكة الألولة ، المغرب ، ص27.26 .

[3]-عبد الله صولة، الحجاج في القرءان من خلال خصائصه الأسلوبية، ط1، دار الفاربي بيررت لبنان، 2001، ص27.

تعتبر دلائل وبراهين وحجج تجعل المتلقي يسلّم بذلك الرأي أو تلك القضية، فأنجع حجاج ما وفّق صاحبه في جعل درجة الإذعان لدى السامع قوية بشكل يدفعه لقبول تلك القضية أو رفضها .

ومن خلال تعريف "بيرلمان" للحجاج تظهر الغاية منه وهي أنّ: « غاية كل حجاج جعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو الزيادة في ذلك الإذعان »[1]،فغاية الحجاج هو الوصول إلى جعل العقل يقبل كل ما يطرح عليه من قضايا وآراء،أي إن فاعلية الحجاج تكمن في تحقيق الإقناع لدى السامع وحمله على قبول الرأي الآخر والتسليم به بطريقة غير مباشرة دون إلزام وضرورة حتمية، فالحجاج عنده مخالف للاستدلال المنطقي الذي جاء به أرسطو القائم على الإرغام والإلزام والتي يتم فيه استنباط مقدمات تفضي إلى نتائج حتمية.

ولعلّ هذه السمات التي ميّزت الحجاج جعلته يحتل مكانة مهمة إلى جانب الاستدلال والإقناع وأصبحت لديه مميزات وملامح يعرف بها، وقد حدّد بيرلمان وزميله خمسة ملامح رئيسية :«أنّ يتوجه إلى مستمع، أنّ يعبّر عنه بلغة طبيعية، وأنّ تكون مسلماته لا تعدو كونها احتمالية، ألاّ يفتقر تقديمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة وأيضا أنّ تكون نتائجه غير حتمية بل احتمالية»[2]، فالحجاج يستلزم توفر مستمع أو جمهور يتلقى ذلك الخطاب، ويشار إلى أنّ الخطابة الجديدة لا تقف على الجمع والحشد إنّما قد يكون بين متخاطبين أو بين الشخص ونفسه ويشترط في ذلك الخطاب أن يكون

[1]-عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص30.

[2]-محمد سالم محمد الأمين الطلبة، في نظرية الحجاج، ص14.

بلغة بسيطة وطبيعية ومفهومة، يستطيع من خلالها المستمع أن يتقبل ويسلم بتلك الآراء التي يجب أن تكون بعيدة عن الاستدلال المنطقي.

كما قسّم الباحثان الحجاج حسب نوع الجمهور إلى نوعين:

-الحجاج الإقناعي: يهدف إلى إقناع الجمهور الخاص .

-الحجاج الإقتناعي: ويهدف إلى أن يسلم به كل ذي عقل، فهو عام ويعتبرونه أساس الإذعان..[1]

وما دفع الباحثان إلى هذا التقسيم هو الفرق الموجود بين الإقناع و الاقتناع، كون أنّ الإقناع يكون بمخاطبة الخيال والعاطفة ممّا لا يدع مجالا لإعمال العقل ولحرية الاختيار، وهنا يكون للغير دخل في الإقناع والتأثير على المتلقي، أمّا الاقتناع فيكون نابع من حرية الاختيار وعلى أساس عقلي، وهنا يكون المخاطب هو من أقنع نفسه بنفسه وبواسطة أفكاره الخاصة .

ويرى بيرلمان أنّ لكل خطاب لا بد أن يكون مبنيا على منطلقات حجاجية يمكن اعتبارها نقطة انطلاق للحجاج، وقد وقف بيرلمان وزميله بشكل مفصل عند هذه المنطقات واعتبرها مقدمات تتضمن: وقائع وحقائق و إفترضات وكذا قيم وهرميات ومواضع(المعاني)، وأنّ هذه المقدمات بكل فروعها تؤسس شروط إقامة الحجاج ومساره، وينطلق منها المحاجج في خطابه وكلها تسعى من أجل حمل الجمهور المتلقي للإذعان

[1]- عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، ص15

وقبول تلك الحجج، ويشير أيضا إلى أنّ لبناء هذه الحجج تقنيات ووسائل محددة تنظم العلاقات بين تلك الحجج حسب سياقها المناسب.

وقسّم الباحثان تقنيات الحجاج إلى فئتين هما تقنيات الوصل والفصل،والتي يقصد بها « الوصل ما يتم به فهم الخطب التي تقرب من العناصر المتباعدة..وتقنيات الفصل وهي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلّا واحدا..أو فصلها وتفكيكها »[1]، نفهم أنّ الأشكال الحجاجية الاتصالية تعمل على تقريب العناصر المتباينة وتخلق نوعا من التضامن بينها من أجل وضعها في قالب موحد، أمّا الأدوات والوسائل الانفصالية فتعمل على إحداث القطيعة بين العناصر الموّحدة وإفساد الترابط الموجود بينها .

كما حصر الباحثان الأشكال الاتصالية في ثلاثة أنواع وهي : الحجج شبه منطقية،الحجج المؤسسة على بنية الواقع والحجج المؤسّسة لبنية الواقع .

أمّا الأشكال والطرائق الانفصالية فإنّها تعمل على الفصل بين العناصر:«إنّ الانفصال بين العناصر الحجّاجية قائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامن بعضها مع بعض، ومرده إلى الزوج الظاهر/الواقع، أو الحقيقة الظاهر هو الحد الأول والواقع هو الحد الثاني »[2]، فالحّد الأوّل هو الظاهر، وهو التصور الأولي الذي يصادف الشخص أو الفكرة التي يستنتجها من النظرة دون تمحيص وتمعّن في تلك العبارة، وغالبا

[1]-عبد الهادي ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ط1 ، دار الكتاب الجديد ، بنغازي ليبيا ، 2004 ، ص477 .

[2]-عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج "الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكا" ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج صمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي، جامعة الأدب والفنون والعلوم الانسانية، تونس1، كلية الأدب منوبة، ص343.

ما تكون هذه التصورات زائفة وخداعة، أمّا الحد الثاني فيقابل الحقيقة والواقع وهو المعنى الحقيقي الذي يرمي إليه الخطاب، ويحتاج إلى تحليل وتفكيك للعناصر حتى يفهم المعنى الحقيقي من الظاهر الزائف .

ونخلص في الأخير إلى أهم ما يمكن استخلاصه من تصور "بيرلمان وتيتكا" عن الحجاج هو اعتبار هذا الأخير حوار بين الخطيب وجمهوره، وأنّه ليس باستدلال شكلي فهو ضروري ولزومي ولا مغالطة أو مناورة أو تلاعب بالمشاعر والعقول ، فقد قدما أهم و أعّم تعريف للحجاج الذي جمعا فيه بين شكل الحجاج والغاية منه، وهي حجج ناجعة تعمل على تقّوية حدة الإذعان لدى السامعين وأخذ بهذا التعريف الباحثين من بعدهما، فقد عملا على الدمج بين الخطابة والجدل الأرسطي لبناء خطابة جديدة هدفها الأساسي الإقناع والتأثير، وبذلك فقد تبنيا إستراتيجية خطابية اقناعية توظف الحجاج على انّه آلية إقناع رئيسية .

2-1-ميشال مايير :

تعتبر نظرية "ميشال مايير" من النظريات المعاصرة في مجال الفلسفة والتي اهتمت بموضوع الحجاج من وجهة أخرى وهي السؤال، فقد سعى من خلال مشروعه الفكري إلى إقامة نظرية فلسفية بلاغية أساسها فكرة التساؤل والمساءلة لأنّ الوصول إلى السؤال يعد أهم خطوة في أيّ نظرية ، وانطلق مايير في ذلك من الثقافة الغربية القديمة فعاد :«إلى الفلسفة اليونانية ليبحث فيها عن نشأة السؤال الذي اقترن بميلاد الفلسفة والنظر في أبعاده

وخصوصياته»[1]، وقد توّصل "مايير"إلى أنّ دور السؤال عرف تراجعا نظرا لإهمال الفكر الديكارتي الوجودي ودعوته إلى التفكير:«ومرّد هذه الأزمة هو موت الذات الديكارتية المؤسسة للكوجيتو»[2]، فقد اهتم ديكارت بإحياء الذات من خلال البحث عن السؤال وإظهار أهميته .

ويعّرف"مايير" الحجاج بقوله« الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنه »[3]، فالحجاج عنده قائم على الصريح والضمني، ويعتبر هذا من المفاهيم الأساسية في قضية المساءلة «فالمصرح به هو ظاهر السؤال أمّا ما هو ضمني فتلك الإمكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد»[4]،وهنا تظهر إمكانات البلاغة في تحديد المعنى وارتباطها بالحجاج، إذ تعمل الاحتمالات المختلفة للإجابة التي يقصدها المتكلم من سؤاله بإحداث عدّة فروق للسؤال وبهذا يحصل التأثير والإقناع.

ويطابق "مايير" بين مفهومي الحجاج والبلاغة وربط هاذين الأخيرين بالفصاحة كونهما يهدفان في نظره لشيء واحد وهو فك الخلاف بين المتحاورين والوصول إلى نتائج إزاء إشكال أو تساءل ما.

ومن بين الأهداف التي تسعى إليها البلاغة نجد :

[1]-محمد القارصي، البلاغة والحجاج في البلاغة من نظرية المساءلة لميشلمايير ، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص389.

[2]-المرجع نفسه ،ص389.

[3]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن ،ص37.

[4]- محمد القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة ، ص394.395 .

1/ الإفهام والإفحام، وخلق القبول .

2/ الإعجاب والإغواء، أو الاستدراج والتبرير لأفكار من أجل تمريرها.

3/ تمرير قابلية الصواب، بواسطة أسباب جيدة وحجج مع اقتراح الاستنباطات.

4/ اقتراح ما هو ضمني من خلال ما هو مصرح به.

5/ استخدام لغة أدبية مجازية وأسلوبية .

6/ اكتشاف نيّات من يتكلم أو يكتب .[1]

ونستنتّج أنّ كل هذه الأهداف مجتمعة تؤدي إلى حمل المتلقي على الاقناع والقبول، وإزّالة اللّبس والغموض .

ومن خلال طرحنا لآراء "مايير" حول الحجاج نخلص أنّ الخطاب الحجاجي عنده هو عبارة عن إثارة أسئلة التي تتشكل انطلاقا من ثنائية سؤال/ جواب، كما تمحورت آرائه حول البلاغة واللغة والحجاج في إطار فلسفي .

2-1-الحجاج عند ديكروانسكومبر :

لقد قدّم كل من ديكرو وانسكومبر" نظريتهما في الحجاج من خلال كتابهما الموسوم "بالحجاج في اللغة " ،ويقوم جوهر نظريتهما على اعتبار أنّ الحجاج يكمن داخل اللغة دون سواها .

[1]-ينظر: فيليب وجوتييه، تاريخ نظريات الحجاج ، ص105.

ونظريــة الحجــاج فــي اللغــة« نظريــة لســانية تهــتم بالوســائل اللغويــة وبإمكانــات اللغــات الطبيعيــة التــي يتــوفر عليهــا المــتكلم ذلــك بقصــد توجيــه خطابــه وجهــة تمكّنــه مــن تحقيــق الأهـداف الحجاجيـة وتنطلـق مـن الفكـرة الشـائعة أننـا نـتكلم عامـة بقصـد التـأثير »[1]، فـالمتكلم أثنـاء توجيـه خطابـه يسـتعين بوسـائل وآليـات مـن اللغـة ذاتهـا قصـد تـأثيره علـى المتلقـي وحملـه علــى تبنــي وجهــة نظــره، وتعتبــر هــذه الوســائل اللغويــة ذات طبيعــة ووظيفةحجاجيــة تســير الخطاب وتخدم الحجاج الذي يحمل هدف وغاية واحدة هي الإقناع والتأثير.

ويقــدّم ديكــرو" مفهومــا للحجــاج انطلاقــا مــن بنيــة اللغــة « إنّ الحجــاج يكــون بتقــديم المتكلم قولان ق1

أو مجموعــة أقــوال يفضــي إلــى التســليم بقــول آخــر ق2 أو مجموعــة مــن الأقــوال، حيــث ق1 يمثّــل الحجــة التــي ينبغــي أن تــؤدي إلــى ق2 وق2 قــولا صــريحا أو ضــمنيا نحــو: إنّ فــي قولنــا لنخــرج إلــى النزهــة بمــا أنّ الطقــس جميــل، أو الطقــس جميــل فلنخــرج . ويكــون بــذلك ق1 هو الطقس جميل، ق2 هو فلنخرج للنزهة.»[2]

وعلــى هــذا الأســاس يكــون الحجــاج محصــورا داخــل بنيــة اللغــة، ويقــر بــأنّ الحجــاج متجذر في اللغة ولا يمكن الفصل بينهما .

وقد اعتمد ديكرو في نظريته على مبادئ أهمها :[3]

1/ الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج .

[1]-ابوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، منتديات سور الأزبكية، الدار البيضاء، 2006, ص14.
[2]-عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص33.
[3]-سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط3،عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011.ص55.56.

2/ المكون الحجاجي أساسي والمكون الإخباري ثانوي.

3/ عدم الفصل بين الدلاليات والتداوليات .

ودعوة "ديكرو" وزميله إلى عدم الفصل بين الدلاليات والتداوليات ساهم في ولادة نظرية جديدة هي التداولية المدمجة والتي تعتبر أنّ التداولية جزء مدمج في الدلالة إذ لا يمكن إيجاد دلالة خارج إطار اللغة وبذلك كان« مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية لا الخبرية المسجلة في بنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها »[1]، فالتخاطب عند"ديكرو وزميله لا يعني وصف الأشياء والإخبار عنها، بل يركز على القول اللغوي في ذاته إذ أن اللغة تصف نفسها بنفسها وتحيل إلى ذاتها، وبذلك فالتداولية المدمجة لا تهتم بالعوامل الخارجة عن اللغة إنّما تبحث عن في القوانين التي تحكم الخطاب داخليا .

ومن أهم المفاهيم التي جاء بها الباحثان في نظريتهما نجد مفهوم السلالم الحجاجية وأيضا الروابط الحجاجية« الروابط الحجاجية باعتبارها أدوات تسهم في تحديد العلاقة التخاطبية بين المتكلمين من جهة وبين أطراف النص من جهة أخرى، بالإضافة الى ذلك اهتمت التداولية بالسلالم الحجاجية داخل المنطوقات»[2]

[1]-شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطوالى اليوم،ص351.

[2]-رضوان الرقبي ، الإستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر،ص87.

أ-نظرية السلالم الحجاجية :

تهتم هذه النظرية بدراسة ترتيب العلاقات بين الحجج داخل التركيب وبيان درجة وأهمية كل قول، إذ أنّ المتكلم يستعمل عناصر وتراكيب لغوية متنوعة ومرتبة ترتيبا تصاعديا تجعل الكلام يتسلسل في دلالته من أجل الوصول إلى درجات من الإقناع السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالآتي :

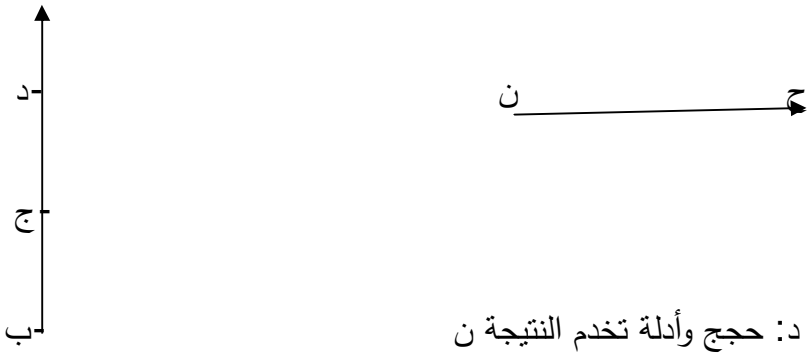

ن= نتيجة

ب و ج و د: حجج وأدلة تخدم النتيجة ن

ومثال ذلك : 1- حصل زيد على الشهادة الثانوية .

2- حصل زيد على شهادة الإجازة .

3-حصل زيد على شهادة الدكتوراه .

وبذلك يكون ترتيب السلم الحجاجي كالتالي:

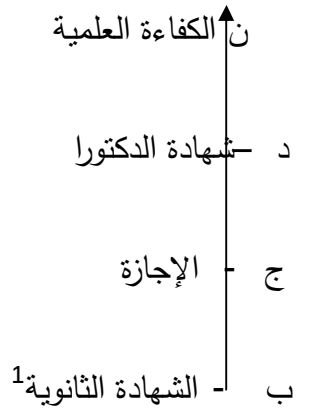

[1]-حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ص60.

والملاحظ أنّ هذه الأقوال تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية وكلها تخلص إلى نتيجة واحدة وهي كفاءة زيد العلمية، فكل قول هو أعلى درجة من القول الذي يليه، فشهادة الدكتوراه أقوى دليل من القول الأوّل والثاني بالنسبة للنتيجة، فهناك تفاوت في درجات القوة والضعف، إذ أنّ السلم ينطلق من أضعف حجة حتى يصل إلى أقواها لذلك سميت بالسلالم الحجاجية .

وينبني السلم الحجاجي على قوانين ثلاثة:« قانون النفي(ليس علي مجتهدا،إنّه لم ينجح في الامتحان)، قانون القلب(لم يحصل علي على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستر)،قانون الخفض أو الدونية(مثل: الجو ليس باردا، لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل)[1]، ومن هذا الطرح تظهر أهمية السلم الحجاجي في اللّغة، والمتمثلة في إعطاء الأقوال قيمة وطبيعة حجاجية بعيدا على الحيّز الإخباري وتعمل أيضا على إظهار أهمية كل قول حسب درجة قوّته و ضعفه، فالحكم على المحاجة تحكمه القوة والضعف وليس الصدق والكذب.

ب -الروابط والعوامل الحجاجية:

تشتمل اللغة على كثير من الروابط والعوامل التّي تساهم في انسجام الخطاب وترابطه، وتعمل على المستمع إلى ما يريده المتكلم من خطابه .« فالروابط الحجاجية هي التي تربط بين قولين، أو بين حجّتين على الأصّح أو أكثر، وتسند لكل قول دورا

[1]-جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص35.36.

حجاجيا محدّدا حسب السياق التداولي، ومن بين هذه الروابط: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، بما أنّ...الخ»[1]

أمّا العوامل الحجاجية« فإنّها تربط بين حجة ونتيجة، ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما ومن بين هذه الأدوات (ربما، كاد، قليلا، تقريبا، إلاّ،إنّما)[2]

ونوضّح ذلك بالمثالين التاليين: -الساعة تشّير إلى الثامنة.

-لا تشّير الساعة إلاّ إلى الثامنة.[3]

فنلاحظ أنّ المثالين تمّيزا بنفس القيمة الإخبارية، ولكن الاختلاف يكمن في تلك الإمكانات والتأويلات التي يستنتجه السامع، ففي القول الأوّل نجده يحمل تأويلات عدّة كالتأخّر أو الدعوة إلى الإسراع..., لكّن بدخول العوامل الحجاجية لا"وإلاّ" في القول الثاني فقد تقّلصت هذه الخيارات وحصرت بها .

ونخلص إلى أن كل من الروابط والعوامل الحجاجية لها أهمية كبيرة داخل اللّغة فهي عامل لانسجام وترابط الخطاب، وكلاهما يحققان وظائف حجاجية إمّا بالربط بين عناصر القول أو بتوجيه القول وجهة ايجابية .

[1]-جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص37.

[2]-المرجع نفسه، ص37.

[3]-ابو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص28.

2- الحجاج عند المعاصرين العرب:

2-1- حمادي صمود:

تتقسم أعمال "حمادي صمود" إلى مرحلتين، مرحلة القراءة النقدية ومرحلة الاهتمّام بالحجاج، فالمرحلة الأوّلى تمثلت في قراءته للمدّونة العربية البلاغية مركّزا على أعما"الجاحظ " الذي يعّد أوّل من درس بلاغة البيان بالاعتماد على الحجاج والجدل المنطقي والقضايا التي عالجها في كتابه التفكير البلاغي حتى القرن السادس تتلخص «في مسألة المفاهيم التي تتمثل في ثنائية الحقيقة والمجاز، البلاغة والفصاحة، والمنهج الذي يعنى بالأسس والطرائق في تحليل الكلام من الوجهة البلاغية للوقوف على على صعيد الشكل والمضمون»[1]

"فحمادي صمود" من خلال قراءته للموروث البلاغي انصّب اهتمامه حول المفاهيم والأساليب البلاغية كالحقيقة وتوظيف المجاز والتركيز على الفصاحة، ثم تطرق الى الطرائق والأسس الواجب إتباعها في تحليل الخطاب من استخراج السمات والخصائص البلاغية للخطاب حتى تتحدد بلاغة النص من بعديه الداخلي والخارجي، أمّا في المرحلة الثانية فقد اهتم فيها بالحجاج الذي بدأ انطلاقا من إشرافه على فريق البحث في البلاغة والحجاج في التقاليد الغربية، واهتم صمود ببلاغة الحجاج كونها أهم مسائل الدرس البلاغي الحديث ولأنها تعمل على فهم الخطاب البلاغي، والحجاج في نظره« علاقة بين طرفين أو عدّة أطراف تتأسس على اللّغة والخطاب يحاول كلا الطرفين أن يؤثر على

[1]-عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص71-72

الطـرف الأخـر »[1]، فالحجـاج يسـتلزم وجـود طـرفين أو أكثـر مـع تـوفر لغـة وخطـاب، بحيـث يسعى كل الطرفين التأثير في الأخر عن طريق استخدام حجج وبراهين .

ويشـير الباحـث أيضـا إلـى التطـورات الحاصـلة فـي عصـرنا الحـالي مـن ثـروة اتصـالية ومعلوماتيـة هائلـة تعتمـد الحجـاج للتـأثير فـي الملتقـى باسـتخدام مختلـف الأسـاليب البلاغيـة ويقـول فـي هـذا الصـدد« دخـل العصـر فـي بلاغـة الإشـهار وعـودة الخطـاب ورجـوع وظيفـة الإقنـاع والتـأثير بشـكل لـم تعرفـه مـن قبـل »[2]، إذن تعتبـر الثـروة الاتصـالية المعلوماتيـة مـن أهـم الأسـاليب المسـاعدة علـى عـودة الخطابـة التـي أعتمـد فيهـا علـى التـأثير بمختلـف الأسـاليب البلاغيـة الاقناعيـة كالإشـهار الـذي يعتمـد علـى بلاغـة الصـورة المرئيـة كحجـة مساعدة على استمالة العقول .

ومـن خـلال مـا تطرقنـا إليـه نخلـص إلـى أن الحجـاج والبلاغـة المعاصـرة عنـد "صـمود" تتعـدى دراسـة التـأثير والتـأثر وتتجـاوز بـذلك الـنص والخطـاب ومـا يطـرأ عليهـا مـن تغييـر وعلاقـة كـل منهمـا بـالواقع والمخاطـب بالإضـافة إلـى العلاقـة التـي تربطهمـا بـالثروة التقنيـة التواصلية.

[1] عباس حشاني ، خطاي الحجاج والتداولية، ص72

[2] -محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص280.

2-2- محمد العمري:

لقد نظر "محمد العمري" للحجاج بطابع اقناعي متأثرا ببلاغة أرسطو، وسماه بالخطاب الاقناعي العربي، ويظهر هذا في كتابه في بلاغة الخطاب الاقناعي إذ يقول«...بدأ الحنين من جديد إلى ريطورية أرسطو التي تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدى بوسائل متنوعة حسب الأحوال»[1]، نلاحظ اهتمام الباحث بالإقناع للدور الفعّال الذي يلعبه في التأثير على الناس، فقد اعتمد على الدعائم الأرسطية لبلاغة الخطاب، وقد تناول أيضا في كتابه هذا أسس بلاغة الخطاب الاقناعي والحجج، مرورا بالمقام وصولا إلى صور الحجاج والأسلوب وترتيب أجزاء القول .

أمّا في كتابه فن الإقناع فقد تنّاول دور الحجاج في دراسة النصّوص البلاغية والخطابية، وانتّبه إلى ضرورة تقديم طريقة معيّنة ومعتمدة في تحليل الخطب وركّز في ذلك على الطريقة الحجاجية«حيث اقترح خطاطات ونماذج عملية لتحليل الخطبة تحليلا حجاجيا»[2]

ونجده قد تطّرق إلى البلاغة العربية في كتاب البلاغة العربية أصولها وامتدادها، والذي أشار فيه إلى نشأة البلاغة العربية وتطوّرها وبداياتها «البدايات التداولية، ثمّ البلاغة المدعومة بالنحو والمنطق وأخيرا البلاغة النقدية أو النقد البلاغي»[3]، فقد تحدّث الباحث عن منابت البلاغة العربية وتربتها التي انطلقت حسبه من مصدرين، النص

[1]-محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ص10.

[2]-صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص،ط1،منتديات سور الأزبكية، سوريا. دمشق،2008، ص45.

[3]- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص71.

الشعري والنثري، وكذا العوامل المساعدة في ازدهارها ودور النقد البلاغية في تطوّرها، وذلك عن طريق تأمل النص مباشرة والحكم عليه بالجودة أو الرداءة.

2-3 - طه عبد الرحمن:

لقد تميّزت نظرة "طه عبد الرحمن" للحجاج بطابعها الفلسفي لأنه اعتمد في دراسته على المنطق وربطها بالنظريات الحجاجية، وعمل على المزج بين القديم العربي والحديث الغربي، وقد خصّص في كتابه "اللسان والميزان أو التكّوثر العقلي" بابا سمّاه الخطاب والحجاج، ويرى فيه« أنّ الأصل في تكّوثر الخطاب هو صفّته الحجاجية بناء على أنّه لا خطاب بغير حجاج»[1]

كمّا عرّف الحجاج بقوله:« أنّ حد الحجاج أنّه كلّ منطوق به موّجه الى الغير لافهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[2]، فالخطاب يقوم حسبه على عنصري المخاطب والمخاطب، وانّ هذا الاخير يكون في مقام المدّعي الذي يعمل علة تقديم الحجج ، في مقابل المخاطب الذي يقف في مقام المعترض لهذه الحجج.

أمّا في كتابه أصول الحوار زتجديد علم الكلام فنجده قد تطّرق الى الحجاج في صيغته الحوارية« وجعلها في مراتب ثلاث(حوار، محاورة، تحاور)[3]

[1]-طه عبد الرحمن، اللسّان والميزان او التكوثرالعقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بالرباط المغرب، 1998، ص213

[2]-المرجع السابق، ص226.

[3]-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2 ، المركز الثقافي العربي، الرباط المغرب، 2000، ص31

الفصل الثاني: آليات الحجاج في خطبة الحسن البصري

1- الآليات اللغوية/ التداولية

2-الآليات البلاغية

1-الآليات الحجاجية اللغوية/ التداولية:

لا تخلو خطب الحسن البصري" من الآليات الحجاجية اللغوية، التّي استعان بها قصد بلوغ كلامه مبلغا قوّيا على الأسماع والنفوس، وحتى يكون خطابه متزنا ومنسجما من جهة أخرى وسنقوم في هذا الفصل بتحليل بعض النماذج تحليلا حجاجيا تداوليا.

1-1- **تقنية التكرار**: يعتبر أسلوب التكرار أو التكرير من ابرز الأساليب الحجاجية التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحته أو قضيته، ويعرّفه السجلماني "بأنه«إعادة اللّفظ الواحد بالعدد أو النوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع في القول مرتين فصاعدا»[1]، فاستعمال أسلوب التكرار يساهم في تنامي النص وانسجامه، وهناك أنواع مختلفة للتكرار، كتكرار اللفظ وتكرار الحروف والروابط الحجاجية.

ففيما يخّص التكرار اللفظي في الخطبة فإننا نجد: لفظة" **يابن آدم**"، وقد تكرّرت ست مرات، فيما تكرّرت لفظة **هيهات هيهات، الوحاءالوحاء، النجاء النجاء**. هو توكيد لفظي وظّفه الخطيب من أجل الزيادة في التأكيد والتوضيح، فاللّفظة الأولى كان الهدف من تكرارها إثبات وإظهار أنّ الدنيا زائلة وفانية ولا يبقى من بني آدم إلاّ عمله.

وفي تكرّاره للّفظة **الدنيا**" كان غرضه دعوة الناس إلى التخلي عن الدنيا والعمل للدار الباقية.

فللتكرار قيمة فنّية ومعنوية تضيف طاقة قوية إلى الحجّج، حيث تؤثر على المتلقي وتساعد على إقناعه وحمله على الإذعان، كما أنّ هذا الأسلوب يعمل على التأكيد وترسيخ الفكرة في ذهن

[1]-محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، ط3، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء-المغرب، 2012، ص134.

المتلقي، وتكرّار اللّفظة ذاتها أكثر من مرّة يعّد أسلوب من أساليب الإقناع، وهذا ما نلحظه في خطب "الحسن البصري"، بحيث وظّف التكرار في مواضع عدّة.

2-1-الروابط والعوامل الحجاجية:

-الروابط:

إنّ وأنّ: تعمل بشكل واضح على تأكيد الخبر وتعزيزه، والذي ينجّر عنه إقناع السامع وتغيير نمط تفكيره، وقد وظّف "**إنّ**" خمس مرات في مواقع مختلفة ليقّر بصحة كلامه وتأكيدالرأيه.

ومن مواضع **إنّ وأنّ**" ما يلي:

-أما والله لا امة بعد أمتكم.

-إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمدا -صلى الله عليه وسلم- على علم منه.

-فإنها عن قليل قبرك.

-إن هذا الحق قد جهد أهله.

-اعدّوا الجواب فإنّكم مسؤولون.

-اعلم انّك لم تزل في هدم عمرك .

لكن: وردت مرّتين، وفي كلا الموضعين تفيد الاستدراك وأدّت فيه دورا حجاجيا.

- المؤمن من لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكنّه أخذه من قبل ربه.

- الإيمان ليس بالتحّلي ولا بالتمنّي، ولكنّه ما وقر في القلوب وصدّقه العمل.

ويمكن تمثيل هذه الحجج بالسلم الحجاجي التالي:

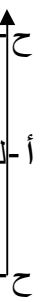

تمثّل: ح= حجّج ، أ= الأداة .

فالرابط الحجاجي **لكن**" قد أفاد الاستدراك، ففي المثال الاوّل تحقّق إبطال الحجّة الأوّلى بأنّ المؤمن الحقيقي هو من يأخذ معالم دينه ممّا انزله الله على عباده قصد تسيير حياتهم وفق منهج قويم وصحيح . وكذلك بالنسبة للمثال الثاني يكمن في صدق القلب وإخلاص النية في العمل، فعملت هذهّ الحجّة على إبطال الحجّة الأوّلىبالاستعانة ب"**لكن**" .

نلاحظ من هذين المثالين أنّ الحجّة الثانية كانت استدراكا للحجّة الأولى وذلك بالاستعمال الرابط الحجاجي "**لكن**"، فكان الخبر الثاني مخالف للخبر الأوّل وعمل على إزالة الوهم الوارد فيه.

الرابط الحجاجي "**الفاء**":«هو حرف شفوي مهموس، يكون أصلا وبدلا، ولا يكون زائدا مصوغا في الكلام »[1]

وقد وردت "**الفاء**" في مواضع كثيرة من الخطبة وفي كل مرة ترد بمعنى مغاير، إما للترتيب أو التعقيب قصد الربط بين الحجة والنتيجة ،وذلك حسب السياق الذي وردت فيه.

ومثال ذلك قوله: "**إذا رأيت النّاس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيت النّاس في الشر فلا تغبطهم عليه**"، فاستعملت الفاء في مقام طلبي، حيث جاءت جوابا لجملة الشرط فربطت بين الجواب والشرط، أي بين الحجة والنتيجة، وهنا دعا "الحسن البصري" النّاس للمنافسة في فعل الخير واجتناب فعل الشّر.

ومن أمثلة ورود "**الفاء**"ما يلي:

نتيجة	الأداة	حجة
ماذا تنتظرون؟	الفاء	قد أسرع بخياركم.
يالها موعظة	الفاء	بقيت الأعمال قلائد في أعناقبني آدم.
قد رآه غاديا ورائحا	الفاء	منرأى محمدا
شمر إليه	الفاء	رفع له علم

[1]- علي جاسم سلمان، معاني الحروف العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ص138.

أبعدهم الله واسحقهم	الفاء	رغب أقوام عن عيشته وسخطوا ما رضى له ربه
عن قليل قبرك	الفاء	طإ الأرض
تفكر اعتبر أبصر	الفاء الفاء الفاء	رحم الله رجلا نظر تفكر أبصر
إنكممسؤولون	الفاء	اعدوا الجواب
ليس الصفو ماعاد كدرا،ولا الكدر ما عاد صفوا	الفاء	خذوا صفوا الدنيا وذروا كدرها
ذم الآخرة	الفاء	من حمد الدنيا

نلاحظ أنّ لحرف "**الفاء**" دلالات عديدة في الخطبة، اختلفت باختلاف تمّوضعها في السياق، ولكن في هذه الأمثلة لا تخرج دلالاتها عن كونها رابط بين الحجة والنتيجة، أو لتحيل إلى ما يعلّل ويفسّر مضمون النتيجة.

وسنمثل بالسلم الحجاجي لبعض هذه النماذج:

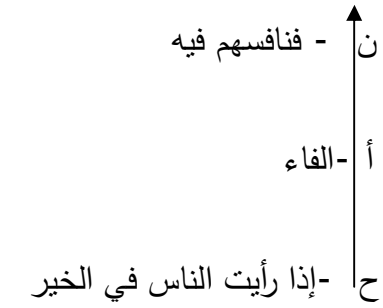

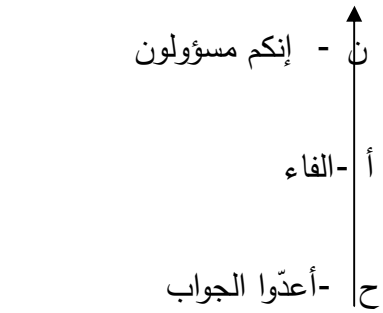

الرابط الحجاجي "الواو":

يعّد الواو رابط حجاجي، يعمل على الربط بين اجزاء الخطبة بعضها البعض، حتى يتجسد لنا نصا متماسكا لغويا ودلاليا.

وقد وظّفه "الحسن البصري" بكثرة في خطبته، بحيث تكرر حوالي 43 مرة، وبفضل هذا الرابط جاءت الحجّج متّسقة مترابطة وكل حجة تعمل على تقوّية الحجّة الأخرى، وبالإضافة للربط فقد عملت على ترتيب الحجج حسب درجة قوتها وتأثيرها. ومن أمثلة توظيف "**الواو**"نجد:«**"والله لا أمة بعد أمتكم، ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم، انتم تسوقون الناس والساعةتسوقكم،وإنما ينتظر بأوّلكم أن يلحقه آخركم.**

"إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمد-عليه الصلاة والسلام-على علم منه، اختاره لنفسه، وبعثهبرسالته، وانزل عليه كتابه، وكان صفوته من خلقه، ورسوله إلى عباده.»[1]

نلحظ أنّ "الحسن البصري" قد أدرج مجموعة من الحجج المتسلسلة والمترابطةباستعمال الرابط الحجاجي الواو الذي عمل على ترتيب ووصل الحجج بعضها البعض، للوصول إلى نتيجة مفادها أن الله تعالى بعث نبيه ليكون آخر الأنبياء، وجعل رسالته آخر الرسالات السماوّية.

فالواو لم يقتصر دوره على الجانب النحوي فقط، بل لعب دور ووظيفة حجاجية مهمة.

الرابط قد ولقد:

لقد: وهو رابط يدخل على الفعل الماضي ليفيد التحقيق، ومن أمثلة ذلك:

-قد كان لكم في رسول أسوة حسنة.

-لقد رأيت أقواما كانوا من حسناتهم أن ترّد عليهم.

[1]-أحمد زكي صفوة، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، ط1، م2، وكيل كلية دار العلوم، بيروت القاهرة، 495.

-لقد صحبت أقواما ماكانت صحبتهم إلاّ قرّة العين.

فهذا الرابط ربط الراهن بالماضي وعمل على تحقيق ما يكون مع ماكان، وهو يقصد توجيه المتلقي ووضعه في الوقت والوضع الراهن.

قد: تعمل على الربط بين حجّتين أو قولين، وهي تستخدم للتّحقيق وتعّد لونا آخر من أنواع التوكيد التي يحفل بها كظاهرة معنوية موظفة للتبليغ والتثبيت ولفت الأنظار.نحو:

"**وانتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم.**"

رابط الشرط "**إذا**":رابط حجاجي وظّفه الخطيب بغرض إقناع المتلقي، فهو يعتبر تقنيّة تساعد في عملية إيصالالأفكار لذهن المتلقين، وقد أورده على مرتين في:

"**إذا رأيت النّاس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيت النّاس في الشّر فلا تغبطهم عليه**".

أداة ⟵ حجة ⟵ نتيجة

إذا ⟵ رأيت النّاس في الخير ⟵ فنافسهم فيه.

إذا ⟵ رأيت النّاس في الشّر ⟵ فلا تغبطهم عليه.

العوامل الحجاجية:

رأينا سابقا أنّ الروابط الحجاجية تقوم بالربط بين ملفوظين، وفي المقابل نجد أنّ العوامل الحجاجية لا تربط بين المتغيّرات الحجاجية، فهي تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما

ومن النماذج الواردة في الخطبة مايلي:

العامل الحجاجي "إلاّ": وردت إلا في المواضع التالية:

-ما كانت صحبتهم إلاّ قرّة العين.

-لا يصبر عليه إلاّ من عرف فضله.

-ليس يكره الله إلاّ مقيّم على سخطه.

قد خدمت **إلاّ**" المعنى وزادته قوة وعملت عملا حجاجيّا، فقامت بحصر وتقييّد الإمكانات التي يمكن أن تصل إليها النتيجة، ففي المثال" الأول عمل "الحسن البصري" على حصر مكانة أصحابه في قرّة عينه، وذلك لمكانتهم الكبيرة والعالية في قلبه، وقامت بنفس العمل في الأمثلةالأخرى.

العامل الحجاجي "إنّما":وردت مرة واحدة نحو : "**وإنّما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم.**"

عملت إنّما على خدمة النتيجة وإثباتها، فاستعملها الخطيبلنصح وتنبيه الناس، وتذكيرهم بأنّ الموت آت وأنّ لكل منّا أجل وسيلحق بعضنا بعضا إليه.

3-1-الأفعال الكلامية:

اهتمّ الدارسون بالقول وعلاقته بالفعل في إطار الحجاج اللّغوي، فكل فعل يحدث في الواقع يعبّر عنه بلفظ في اللّغة، وتسمى الأفعال بالأفعال الكلامية، وتعرف بأنها:« أصغر وحدة تحقق فعلا عن طريق الكلام(بإصدار أمر أو طلب، أو توكيد، أو وعد..) الذي من شأنه اتخاذ تغيير في وضعية أو موقع المتكلمين»[1] وقد تجسّدت في خطبة الحسن البصري في عدّة أنواع كالنداء،

[1]-فريدة موساوي، المفاهيم الأساسية في تحليل الخطاب، ط2، عالم الكتب ، الجزائر، 2010، ص11.

الاستفهام، الأمر، النهي، النفي، وسنقوم بتحليل بعض هذه النماذج ومعرفة أثرها الحجاجي في الخطبة.

•**النداء:**هو فعل كلامي مباشر موجه توجيها ما، ويعمل على تحفيز المرسل إليه ردة فعل اتجاه المرسل.

ويقول ابن الحاجب في"**ياء**" النداء«أنّها حقيقة في القريب والبعيد لأنّها لطلب الإقبال مطلقا وقال الزمخشري أنّها للبعيد»[1]

وقد استّعمل الخطيب حرف النداء "**يا**" وأفرط في نداء لفظة "**ابن**" مضافة إلى اسم العلم"**آدم**"وجاءت كلّها بمعنى التحذير والتأسّف والتحسّر والحزن ، وذلك لما آل إليه حال النّاس آنذاك فابتعدوا عن نهج تعاليم دين الله وسنّة نبيّه، ومن أمثلة ذلك :

-يابن آدم بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا.

-يابن آدم إذارأيت الناس في الخير فنافسهم فيه.

-يابن آدم طاالأرض بقدمك فإنّها عن قليل قبر.

-يابن آدم اذكر قوله تعالى .« وكلّإنسانألزمنّاه طائره في عنقه ».

-يابن آدم الإيمان ليس بالتحلّي ولا بالتمّني.[2]

[1]- جليل رشيد فالح، خطبة حجة الوداع دراسة تحليلية بلاغية، مجلة آداب الرافدين، العدد13، 2007.

[2]-احمد زكي صفوة،جمهرة خطب العرب ص459

فكلّ مثال كان عبارة عن حجّة قدّمها "الحسن البصري" ليلفت بها انتباه السامعين وغايته في ذلك دعوتهم إلى الانصراف عن الدنيا وشهواتها .

•**الاستفهام:** يعّد الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال الكلامية حجاجا، إذ:« أن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما.

كما يمكن أن يلطّف السؤال مابين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلىالإقرار بجواب غير جواب المتكلم.»[1]

ونجد "الحسن البصري" قد استعمل هذا الأسلوب بطرق تناسب طبيعة خطبه وكذا أحوال مستمعيه، وذلك لأغراض حجاجية وهي التأثير واستمالة العقول، وقد وظّف عبارات ذات صيغة استفهامية مباشرة، لكن غرضه لم يكن انتظار الجواب، وإنّما جاء استفهامه عن غرابة ودهشة وتعجب من حال هذه الأمّة وتمسكها بالدنيا وملذاتها.

وتجسد هذا الأسلوب في العبارات التالية:

- أنتم آخر أمّتكم، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون؟

-علام تعرجون؟

فكان هدف "الحسن البصري" من طرحه التساؤلليس انتظار الجواب، فهو في مقام السّائل والمجيب،حيث نجده متعجبا لحال الناس وطمعهم في الدنيا وتلهفهم لها، فهو يدعوهم للعمل للآخرةوترك الدنيا وملذاتها قبل الرحيل،حيث لا ينفع ابن آدم إلاّعمله الصالح.

[1]-ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص483.

فعلا الأمر والنهي:

•**الأمر**: «**الأمر يستعمل على سبيل الاسّتعلاء**»[1]، ومن أمثلة ذلك في الخطبة ما يلي :

-بعّدنياك بآخرتك .

-طإ الأرض بقدمك .

-أذكر.

-اقرأ كتابك .

-خذوا صفو الدنيا.

-ذرواكدرها.

-دعوا ما يريبكم.

-أعدّوا الجواب .

تعتبر هذه الأوامر حجج وبراهين أستعملها"الحسن البصري" لإقناع السامعين، وهو بذلك يوجههّم إلى اتخاذ النهج والطريق لنيل مرضاة الله، وقد وظّف أفعال الأمر: "**بّع، طأ، أذكّر، أقرأ، خّذ، ذّر، دّع، أعّد** "، وكلها أفعال ذات صيغة أمرية كان الهدف منها النصح والإرشاد والوعظ والملاحظ أنّه كلّما أورد حجة ألحقها بنتيجة إمامضمرة **أو** صريحة .

وبذلك كان هذا الأسلوب وسيلة مساعدة للخطيب، عملت على تقّوية كلامه وعزّزت من رأيه ومكنته من استمالة عقول وقلوب المستمعين،وحمّلتهم على قبول تلك المواعظ ، فكان "الحسن

[1]- السكاكي ، مفتاح العلوم ،ص 318

البصري" في مقام الواعظ و المرشد والداعي إلى إتباع الطريق المنجية من عذاب النار وهول يوم الحساب.

•**النهي:** هو أسلوب إنشائي يكون:«**بموجبه يطلب الكف عن الفعل على وجه الاسّتعلاء**»[1] إذ كان نهي الحسن البصري للناس يقتضي منهم الامتثال إلى محتواه .

ومن أمثلة ذلك نجد: -**لا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا .**

-**إذا رأيت النّاس في الشّر فلا تغبطهم عليه.**

وجاء النهي هنا بغرض بيان العاقبة السيّئة وتحذيرهم من ذلك، فجعل منه وسيلة لمواعظه ولفت انتباه الجمع المُخاطب إلى ضرورة إتّباع نصائحه والسير عليها .

فكما سبق الحديث عن فعل الأمر ينطبق أيضا على النهى، و الأفعال المنهي عنها(**لا تبع ، لاتغبطهم)** حججّ في ذاتها عملت على نهي المتلقي بالكف عن فعلها واجتنابها، وبذلك يحصل الاقتناع بطريقة حجاجية وتكون صلة فعليّ الأمر والنهي بالحجاج وثيقة لأنهما دائما يوظّفان في مقام الدعوة ويهدفان إلى إتباع السلوك الصحيح.

•**النفي:** وكما يكون الحجاج بالنداء والأمر والنهي والاستفهام يكون كذلك بالنفي، فهو آلية الخطاب والخطيب هنا أستعمل النفي في الحجاج باعتبارها حجج بعينها لتقّوية كلامه، وتعّد أدوات النفي **(لا، لم ،ما ، ليس)** من أبرز العوامل الحجاجية باعتباره بعد أدق العوامل الحجاجية ،«**إذ يحققها المتكلم وظيفة اللّغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتلقي و تسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى**

[1]-عبد الجليل الشعرواي ،الحجاج في الخطابة النّبوية، ص152.

النتيجة ن»[1]ونلاحظ أن الحسن قد أفرط في توظيف أدوات النفي كونها وجهة خطابه وساهمت في إثبات نتيجة (ن)ضمنية مضمرة .

ومن عبارات النفي الواردة في الخطبة مايلي:

-لم يضع لبنة عل لبنة، ولا قصبة على قصبة.

-فقدأبصرأقوام ولم يصبروا، فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا.

-ليس الصفو ما عاد كدرا، ولا الكدر ما عاد صفوا.

-دعوا ما يريبكم إلى ما يريبكم.

-مالي اسمع حسيسا ولا أرىأنيسا

المؤمن من لم يأخذ دينه عن رأيه

-الإيمان ليس بالتحلّي ولا بالتمنّي.

فالحسن البصري في المثال التالي:"**والله لا أمّة بعد أمّتكم، ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعدكتابكم**"، ينفي إمكانية وجود أمّة بعد أمّة محمد، ولا نبي بعده ولا كتاب غيره، وهو يعتبر في نفس الوقت إثبات لمقصده ومعتقده الديني، فقد استعمل الخطيب إحالة خارجية باستعماله النفي الذييحيل بالضرورةإلى قضية مثبتة تستنتج ضمنيامن الكلام.

ونمثل ذلك بالسلم الحجاجي التالي:

[1]-مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ج1، العدد43، 2015، ص425.

ن=إثبات أنّ الدين الإسلامي هوآخر الرسالات

- لا كتاب بعد كتابكم
- لانبي بعد نبيّكم
- لاأمّة بعد أمّتكم

نلحظ أن السلم الحجاجي يحوي عدّة حجج لنتيجة واحدة مضمرة تفهم من سياق الكلام، مفادها عدم وجود دين بعد دين نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم.

النموذج الثاني:

يقول الحسن البصري:"**فقد أبصر أقوام ولم يصبروا، فذهب الجزع بقلوبهم ولميدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا**"، يرى البصري أن هناك أقوام على الرغم من بصرهم ومعرفتهم لطريق الحق إلاّ أنّ موت قلوبهم حال دون رجوعهم إلى الطريق الصحيح، وهو هنا في مقام النفي ولكنّه في نفس الوقت يثبت ما آلت إليه هذه الأقوام من قلّة صبر وبعد عن الدين.

ن ضلالة الناس وبعدهم عن الدين

ح3 -ولم يرجعوا إلى ما فارقوا

ح2 -ولم يدركوا ما طلبوا

ح1 -أبصر أقوام ولم يصبروا

2-الآليات الحجاجية البلاغية:

2-1-من ناحية البيان:

يكتسي أسلوب "الحسن البصري"في خطبته صيغة بلاغية تأخذ بشكل الخطاب الحجاجي مآخذ عدّة، كما تسهم في إثراء صور الحجاج وحضورها في مظاهر بلاغية مختلفة تحقق خصائص الخطاب الحجاجي البلاغي، وتكتسي تأييد وقبول المتلقي بإقناعه عن طريق إشباع مشاعره وأفكاره بصور وأساليب بلاغية متعددة منها: التشبيه، الاستعارة والكناية.

2-2-1- التشبيه:« هو الدلالة على مشاركة أمر لأخر في معنى»[1], وأركان التشبيه أربعة: **المشبه، المشبه به، أداة التشبيه ووجهة»**[2]

و ضمّن "الحسن البصري"التشبيه في خطبته مرّة واحدة وهي:" **بقيت القلائد في أعناق بني آدم**"، هو تشبيه حذف فيه أداة التشبيه وترك كل من المشبه وهو الأعمال، والمشبه به وهو القلائد ووجه الشبه وهي الأعناق التي تعلق فيها كل من القلائد والأعمال على حد سواء.

ولقد لعب هذا التشبيه دورا حجاجيا زاد من قوة الحجّة وعمل على توضيحها، وكذا زاد من الطاقة الحجاجية الاقناعية لدى المتلقي.

[1]-الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،2003، ص164.

[2]-المرجع نفسه، ص202.

2-1-2-الاستعارة:

تحدّد الاستعارة بكونها مجازا قائما على التشبيه لعلاقة بينهما وتعرف:« الاستعارة هي أفضل المجاز عندهم، وأول أبواب البدي..وهي من محاسن الكلام»[1]

وعرّفها القزيني بقوله:«الاستعارة هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له » [2]

ووظّفها "الحسن البصري" في خطبته باعتبارها أبلغ من الحقيقة حجاجيا، بحيث تحدث تغيير في فكر المتلقي وعاطفته.ومن أمثلة ذلك نجد: "**بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا**"، استعارة مكنية حذف فيها المشبه به(السلعة) وترك أحد لوازمه (البيع).قامت هذه الاستعارة مقام الحجاج بحيث شبه الدنيا والآخرة بالسلعة التي تباع فتؤدي إمّا للربح أو الخسارة، ونفس الشيء بالنسبة إلى الدنيا والآخرة فإذا انصرف بني آدم إلى بيع الدنيا كان الربح هو نصيبه أمّا إذا باع الآخرةفالخسارة هي ما سيناله، "فالحسن البصري" يسعى إلى تغيير موقف الناس والتأثير على عاطفتهم واستمالة عقولهم بهذه القوة الحجاجية الجمالية.

وفي مثال آخر يقول: "**انتم تسوقون النّاس والسّاعة تسوقكم**"، حذف فيها المشبه به(السيّارة أو الإبل)، وترك ما يدل عليه وهي السياقة. وقد أورد هذا التعبير للفت انتباه الناس وإيقاظهم من غفلتهم وتنبيههم بأنّ يوم الحساب ليس ببعيد، فكما يسوق بعضهم بعضا الى القبور فكذلك الساعة منهم قريبة وهم عنها غافلون.

---

[1]-ابن رشد القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تح، عبد الواحد شعلال، ج1، ط1، الناشر مكتبة الخانجى ، 2000، ص435.

[2]-الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة العاني والبيان والبديع، ص212.

وقد كان لهذه الاستعارة وقع على الإسماعوالأنفس لما له من قوة وطاقة بلاغية دلالية حجاجية تعمل على إعطاء المعنى قوة تأثيرية اقناعية.

3-1-2- الكناية:«هي الكلمة التي أريد بها غير معناها مع إرادة معناها، فإذا كان المعنى مراد بالغرض، فهذه هي الكناية في المفرد»[1]

وأورد الخطيب الكناية في قوله: "**ذهب النّاس وبقي النّسناس**"، وهي كناية عن تدني وانحطاط قيمةالإنسان حتى أصبح فاقدا لإنسانيته.

وقوله أيضا: "**تهاديتم الأطباق ولم تتهادوا النصائح**"، كناية عن انشغال النّاس بالدنيا وملذاتها، وغفلتهم عن نصح ووعظ بعضه البعض بما يفيدهم لأخراهم وفي قبورهم.

وبذلك تعتبر الكناية من ابرز الوسائل البلاغية الحجاجية التي تعمل على تأكيد الحجّة وتحقيقها فتحدث بذلك تأثيراوانفعالا قويا في نفسية المتلقي.

2-2- من ناحية البديع:

يلعب البديع دورا حجاجيا مهما، فكونه يعمل على زخرفة وتزييّن الخطاب إلاّ أنّ الهدف الخفي والاهمّ هو الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه في التأثير.

فأساليبالبديع من طباق ومقابلة، وجناس وسجع ليست موضوعة كمحسن بديعي فقط، إنّماالأصل فيها الإبلاغ والتبليغ.

[1]-كمال الدين ميثم البحريني، أصول البلاغة، تح، الدكتور عبد القادر حسن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1981، ص73.72.

1-2-2-الطباق: يعّد الطباق آلية ووسيلة حجاجية وهو« الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام، وهو نوعان طباق الإيجاب وهو ما يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، وطباق السلب ما اختلف فيه الضدان إيجابا»[1] ، يستعين به الخطيب ليجعل الدلالة واضحة ومقنعة، ويعمل بها على تحسين المعنى وتنميقه، حتى يقع في ذهن القارئ موقعا يجعله يذعن لتلك القوّة الحجاجية.

ونجد أنّ الخطيب قد أكثر من استعماله للطباق في الخطبة بنوعيه بالسلب والإيجاب، وقد جاء على شكل ثنائيات مزاوجة بين الأضداد ، ويمكن اعتبار كل من هذه الثنائيات حججّ نحو:

ح1-أخرتك≠ دنياك، ح2-تربحهما≠تخسرهما، ح3-الخير≠الشّر، ح4-احّل≠حرّم، ح5حمد≠ذمّ، ح6-سيئات≠حسنات، ح7-ما يريبكم≠ مالايريبكم، ح8-تهاديتم≠لم تتهادوا.

ن=نصح وإرشاد الناس ودعوتهم إلىإتباع أوامر الله وتجنّب نواهيه لربح الدنيا والآخرة.

فغاية "الحسن البصري" هنا ليس زخرفة وتنميق القول فقط، بل من اجل بلوغ غاية حجاجية وهي إقناع المتلقي ودفعه إلى تبني تلك النصائح والعمل بها.

2-2-2-المقابلة: تعّد المقابلة أيضا من الأدوات الحجاجية المؤثّرة في المتلقي والخطاب ككل ونعني به :«**أن تجمع بين شيئين متوافقين وضدهما**»[2]، ويعمل الخطيب على استحضار معنى معيّن أو أكثر ثم يورد ما يقابله، ونجد أن الحسن البصري أوردها فيثنايا كلامه في قوله:

[1]-عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص297.

[2]-كمال الدين ميثم البحراني، أصول البلاغة، ص82.

"**بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا**"، ويظهر التقابل هنا على مستوى الحجج والنتائج ، فالحجة "**بع دنياك باخرتك**"، والنتيجة "**تربحهما جميعا**". وتقابلها "**لاتبع آخرتك بدنياك**" كحجة أيضا ونتيجتها "**تخسرهما جميعا.**"

حجة ⟵ نتيجة بع دنياك باخرتك⟵ تربحهما جميعا

حجة مقابلة ⟵ نتيجة مقابلة لا تبع آخرتك بدنياك⟵فتخسرهما جميعا

وبذلك يمكن اعتبار كل من "**بع**" **و** "**لاتبع**"، و"**الدنيا**" في مقابل"**الآخرة**" حجج تنبثق عنها نتائج وتعتبر النتيجة**الأولى** الربح تقابلها نتيجة مضادة وهي الخسارة، وقد قامت هذه المقابلة بوظيفة حجاجية فدعّمت المعنى وأكسبت الحجج قوة زادت في درجة تأثيرها على السامعين.

3-2-2- **الجناس**:«**هو تشابه الكلمتين في اللفظ**»[1]،وقد ورد هذا الأسلوب في موضعين من الخطبة:

"**مالي أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا**"، فالجناسكان على مستوى اللفظتين "**حسيساوأنيسا**" **بحيث** اشتراكا في الحروف الثلاث الأخيرة، ونلاحظ تجانس اللفظتين على الرغم من اختلافهما في المعنى، إذ وقع ذلك في النفس موقعا قويا بفضل ذلك الإيقاع الموسيقي الموزون، فجعل الحجاج أكثر تأثيرا في نفسية المتلقي مما يحمّله على التسليم والإذعان.

4-2-2- **السجع**: يعتبر السجع من جماليات البلاغة والمحسنات البديعية اللفظية التي تضفي نوع من التخفيف على الحجاج، فتتواتر الواحدة تلوى الأخرى لتزيد المعنى قوة وثبات وجمالا أمام

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص429.

المتلقي وقد عرّفالسجع بأنه:« السجع توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره»[1]

وورد السجع في كثير من المواضع ومن أمثلة ذلك مايلي:

-انتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم.

-لا أمّة بعد أمّتكم، ولا نبيّ بعد نبيّكم، ولا كتاب بعد كتابكم.

-الساعة تسوقكم، إنّما ينتظرون بأوّلكم ولكم أن يلحق آخركم.

-طإ الأرض بقدمك فإنّها، عن قليل قبرك، اعلم انّك لم تزل في هدم عمرك، منذ سقطت من بطن أمك.

-نظر فتفكر، تفكر فاعتبر، أبصر فصبر.

-لو تكاشفتم، ماتدافنتم، تهاديتم.

أضفى هذا الأسلوب نوعا من التخفيف مما زاد في قوة المعنى وثباته وجماله .

ونخلص إلى أنّ الحجاج ملازم للبلاغة في بيانها وبديعها، فلا غنى للبلاغة عن الحجاج ولا غنى للحجاج عن البيان والبدبع، فكل المحسنات البديعية من طباق ومقابلة وجناس وسجع تقوم في الحجاج فتعمل على تدعيمه من الناحية الجمالية، وبذلك كل هذه الأساليب وتضافرها مع الحجاج دعوة لنجاحه، فيحقق بذلك مقصد المتكلم في إقناع المتلقي.

[1]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة المعاني والبيان والبديع،دط، دار المعارف، 1999، ص272.

5-2-2- متضمنات القول:

يعدّ الشاهد من ابرز الحجج القوّية والجاهزة التي يستعين بها المتكلم للوصول إلى أهدافه وأغراضه الحجاجية، وقد تناولت الخطابة العربية بكثرة هذه التقنية الحجاجية، وذلك لشيوعها بين الخطباء

وقد شمل الاقتباس من القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، الشعر والأمثال والحكم، وهذا ما يصطلح عليه في التداولية والنقد الأدبي باسم التناص.

واعتمد "الحسن البصري" هذا النوع من الحجج باعتبارها قوّة حجاجية مؤثرة، يستطيع من خلالهاإقناع الجمهور.

1-**القرآن الكريم**:وذلك في قوله تعالى:" 7 8 ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ الإسراء: ١٣ - ١٤"،[1]

استدّل الخطيب بهذه الآيةالقرآنية لأنهاأقوى حجة وأفضل دليل لإقناع الجمع المخاطب، وهي حجّة قوّية لا يمكن التشكيكفيها أو الاعتراض عليها لأنّها كلام الله عزّوجل المنزّه عن كل خطأ. وقد استعملها الحسن البصري هنا لكي يذكّر وينبه النّاس إلى أن كل إنسان لديه كتاب تدوّن فيه كل الأعمال، وسيلقاها يوم الحساب، لتحاسب كل نفس على ماعملت، فعلى كل إنسان يقول أن يحاسب نفسه ويراجع أعماله قبل أنيدركه يوم لا ينفع ندم أو مناجاة، وقد كان القرآن الكريم أقوى برهان وابلغ حجّة ساعدت الخطيب على التأثير في السامعين واستمالة عقولهم، واستناده لهذه الآية

[1]-"سورة الإسراء الآية 13-14.

الحجاجية ماهو إلاّ تأكيد لصحّة كلامه واستنتاجاته، فالقرآن الكريم كان المنبع الأول للشريعة الإسلامية التي لايشوبها شك أو تزييف.

2-**الحديث النبوي الشريف:** وتجسد في قوله صلى اله عليه وسلم:«لقد كان لكم في رسول الله **أسوة حسنة** »، ويعتبر كلام الرسول صلى الله عليه وسلم حجة قوّية استعملها الخطيب بغرض إقناع سامعيه، فاستدل بهذا الحديث ليرغب النّاس على إتباع سنّة وهدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كونه يعّد أحسن قدوة يمكن الاقتداء بها، فكل ما جاء به الرسول الكريم من تشريعات وأحكام تعتبر أسس تسير حياة الفرد داخل المجتمع وفق منهج منهج ديني قويم.

وبذلك يمكن اعتبار هذا الاستشهاد حجة قوّية دعّمت نتيجة ضمنية، وهي الدعوة إلىإتباع هدي الرسول وسنّته والعمل بها لنيل رضا الله تعالى.

3- **الشاهد من قول الصحابة**: ومثال ذلك قول "عمر ابن الخطاب" رضي الله عنه:« **رحم الله امرئ أهدى لنا مساوئنا» فقد** استشهد الحسن البصري" بقول عمر ابن الخطاب ليدعّم رأيهويقوّيه وحتىيزيد في درجة إذعان الجمهور المتلقي، وما دفعه للاستشهادبهذا القول هو لتفشي ظاهرة حبالدنيا والانشغال بالأنفس، وانعدام النصح والإرشاد بين الناس وانصرافهمإلى جمع الأموال والتمتع بالدنيا وملذاتها، فغاب بذلك التراحم والتعايش وانعدم الوعظ والنصح فيما بينهم.

الخطبة الثانية:

الروابط والعوامل الحجاجية:

الروابط:- حروف الجر:(في ، عن ، الباء) وقد عملت على إحداث الترابط والتماسك بين أجزاء الخطبة.

"**عن**":وردت في قوله: "**عمّألهاكم؟ عن دار الخلود**"، وهنا ربطت بين السؤال وجوابه.

"**في**": وردت في ثلاث مواضع منها: "**تنفق مثل دينك في شهواتك سرفا**" ، "**تمنع في حق الله درهما**"

الباء:وردت في قوله: "**فاعتبروا إنكارهم ربهم، بأعمالهم الخبيثة** "

-حروف العطف:

الفاء:ومثال ذلك: **الناس ثلاث: مؤمن، كافر، منافق: فأمّا المؤمن، فقد ألجمه الخوف...أمّا الكافر، فقد قمعه السّيف وشرّده الخوف، فأذعن بالجزية،...أمّا المنافق ففي الحجرات...**

جاءت الفاء هنا تفسّر وتشرح وتعلّل مضمون النتيجة.**الواو**: ورد الواو في مواقع عدّة من الخطبة، ومن أمثلة ذلك: ..**وجنّة لا تبيد/** وهتك الستر وأبدى العوار/ مؤمن وكافر ومنافق، وكلها جاءت بغرض الجمع والربط بين أجزاء الكلام لتكون بذلك خطبة متماسكة مترابطة في بينها.**ثم:**وذلك في قوله: "**ويلك قتلت ولية، ثمّ تتمنى عليه جنّته**"

العامل الحجاجي أما: وذلك في قوله: **أما المؤمن/ أما الكافر/ أما المنافق .**

الاستفهام:في قوله: عمّألهاكم؟، استهل"الحسن" البصري خطبته باستفهام، وقف فيه مقامالمستفسر والمندهش عن الشيء الذي يدفع الناس للتخلي عن الدار الآخرة واستبدالها بالدنيا الفانية.

ويلك؟ قتلت وليّه، ثمّ تتمنى عليه جنّته؟،جاء الاستفهام للتوبيخ والعتاب والتهديد وكذا التعجبمن حال المنافقين الذين يظهرون خلاف لما يضمرون مثل من قتل نفسا ويتمنى لها الجنة.

القسم:في قوله: هذا والله فضح القوم.**الطباق:** في قوله: فضح ≠ستر، كافر ≠منافق، يسرون ≠يعلنون، يضمرون ≠يظهرون. **السجع**: نحو: تنفق مثل دينك في شهواتك.

الخطبة الثالثة: الروابط الحجاجية:

كثر استعمال الروابط الحجاجية في هذه الخطبة مثل(الفاء، الواو، إنّ، وحروف الجر)، وقدعملت كلها على الربط بين الحجج ونتائجها وكذا تأكيدها لإحداث الاتساق والانسجام بين أجزاء الكلام.

التكرار:وظّف الخطيب التكرار في مواضع متتّالية من الخطبة نحو: "ياأهلي: صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكنكممساكنكم."وذلك ليزيد من قوة التأثيرعلى أسماع المتلقين، "فالحسن البصري" يقف مقام الناصح والمرشد للناس، فهو ينصح قومه ويدعوهم لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وإكرام الجار، والتآخي فيما بينهم حتى ينالوا رحمة الله تعالى.

النداء: وقد ورد على مرتين في الخطبة، وذلك في قوله: ياأهلي/ يابن آدم، فاستعمله بغرض الدعوة والنصح في المثال الأوّل، وبغرض التعجب والاستفهام في المثال الثاني.

الاستفهام:نحو:كيف تكون مسلما ولم سلم منك جارك، وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس.

جاء الاستفهام بغرض التعجب والاستغراب من وجود أناس يدّعون الإسلام والإيمان، ولم يسلم منهم الجار ولم يأمنهم الناس، فالحسن البصري يعاتبهم على ماهم فيه من ضلال وغفلة.

الطباق: نحو: وافقه≠خالفه

السجع:في قوله:" صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكنكم مساكنكم، لعل الله يرحمكم"

الجناس:في قوله: مسلم/ يسلم

الاستشهاد: قوله تعالى:" وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وكان عند ربّه مرضيا"، فالاستشهاد بالقرآن الكريم أقوى حجّة يلجأ إليها الخطيب من أجل تقوية آراءه، وزيادة الإذعان لدى متلقيه.

الخطبة الرابعة:

أدرج مجموعة من الروابط منها(حروف الجر والعطف، إذا وإن).

النفي: ورد في: لا يستحق/ لا يعيب/ لا يأمر، جاء بغرض دعوة النّاس وتحذيرهم من عدم الانشغال بعيوب الناس دعوتهم بإصلاح أنفسهم أولا.

النهي: في قوله: -فلا تحقرنّ شيئا من الخير وإن صغر.

-ولا تحقرنّ شيئا من الشّر وإن صغر.

فالخطيب ينهي الناس من عدم الاستهانة بصغر أي عمل، سواء كان خيرا أم شرا.

الطباق: في قوله: الشر≠ الخير، سرّك≠ساءك.

الخطبة الخامسة:

من الروابط الحجاجية التي استعان بها (الباء، الواو، الفاء).

واستعمل مجموعة من الأفعال الكلامية نحو: النفي، النهي، القسم، التحذير والنداء، وكلها جاءت بغرض لفت انتباه أنظار مستمعيه إلى ما يدعو إليه، فعملت على تأكيد رأيه وزيادة قوته.

الاستعارة:وذلك في قوله: -يفترشون خدودهم.

- تجري دموعهم على خدودهم.

في المثال استعارة مكنية حذف فيها المشبه به وهو الإنسان، وترك ما يدّل عليه وهو الخد، وأيضا في الاستعارة الثانية، جاءت استعارة مكنية حذف فيها المشبه به هو الإنسان وترك شيء من صفاته وهو الجري.

الطباق: ورد في قوله : كسب≠انفق ، حسنة ≠ سيئة ، يأخذ ≠يترك، سرّتهم≠ساءتهم

يغنيك ≠ لا يغيك، يكفيك ≠ ما يكفيك.

المقابلة: ومثال ذلك: "إذا عملوا الحسنة سرتهم....وإذا عملوا السيئة ساءتهم.

"إن كان الله لا يغنيك ما يكفيك فليس هاهنا شيء يغنيك، وإن كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك"

تعتبر إن كان يغنيك ما يكفيك حجة تتبعها نتيجة "ن" وهي عدم الغنى ، وفي المقابل هناك حجة مقابلة وهي إن كان يغنيك ما يكفيك تليها نتيجة مقابلة وهي الغنى ولو بالقليل.

الخطبة السادسة :

الروابط الحجاجية الواردة فيها (إن، قد، الواو). فعملت على تقوية المعنى وتأكيده والربط بين أجزاء الكلام حتى يقوي من درجة إذعان الجمع المخاطب .

النفي:فيقوله:"لا أذهب إلى من يواري غنى غناه"

الطباق: في قوله : غناه ≠فقره ، يغلق≠ يفتح.

الخطبة السابعة :

وظّف الخطيب مجموعة من الروابط الحجاجية ساهمت في انسجام الخطبة وترابطها نحو (عن، إلى، من، ما، الواو، الفاء، إلا، اللام)

كمّا وظّف أيضا أسلوبالأمر والنداء والنفي في مواضع مختلفة من الخطبة .

الطباق: من أمثلته: دنيا≠آخرة / مترف ≠ أفقر/ منافق≠مؤمن / أصبح ≠ ما أصبح.

الخطبة الثامنة:

أدرج مجموعة من الروابط الحجاجية ساعدته على الربط بين الحجج ونتائجها وزادت من تماسكها واتساقها، منها:(الواو، قد ،الفاء، أو ، إن ،الباء، في)

القسم: مثال ذلك قوله: أما والله أن لو كشف الغطاء ، لشغل محسن بإحسانه، ومسيء بإساءته.

استعان الخطيب بأسلوب القسم لينبّه النّاس لأمر عظيم وهو يوم الحساب، الذي تكشف فيه الأعمال ، فلو أتيح للإنسان رؤية هول ذلك اليوم لانشغل كل إنسان بنفسه ، وانصرف عن الدنيا وما فيها.

خاتمة

وفي الأخير أفضى البحث إلى جملة من النتائج سنوجزها فيما يلي:

- تعدّدت دلالات الحجاج وظهر بمعاني وتسميات مختلفة، كالحوار والجدل والمناظرة فاعتمدت الحركة السفسطائية على توظيف سلطة القول، أمّا عند أرسطو وأفلاطون" ارتبط بالبلاغة والجدل، كما تمثّل عند العرب في التوجه البلاغي الخطابي لدى "الجاحظ" والتوجه البلاغي المنطقي لدى "السكاكي"، أمّا عند علماء الكلام والأصول فتمثل في الجدل من خلال دراستهم للخطاب القرآني.

- ظهور البلاغة الجديدة على يد كل من "بيرلمان وتيتكا" اللّذان عملا على إحياء التراث اليوناني القديم وقراءته قراءة جديدة تواكب روح العصر، وذلك من خلال كتابه (مصنّف في الحجاج "البلاغة الجديدة")

- اعتبار أنّ الحجاج يكمن داخل اللغة دون سواها، وذلك من خلال نظرية الحجاج في اللغة التي جاءت على يد كل من "ديكرو وانسكومبر"، والتي انبثق منها ما يعرف بالتداولية المدمجة وكذا السلالم والروابط الحجاجية.

- ويضاف إلى ذلك دراسة "ميشال مايير" حول نظرية المساءلة.

ومن بين ما تمّ التوّصل إليهأيضا نجد:

-اتفاق كل من البلاغة العربية القديمة والبلاغة الجديدة في التأثير على المتلقين، فالأولى تقوم على الإفهام والتأثير كما سبق الحديث عنها، فإنّ دور البلاغة الجديدة تقوم هي الأخرى على التأثير في النفوس عن طريق عرض الحجج .

-وظّف الحسن البصري في خطبه جّل التقنيات الحجاجية، فكانت غنية بالأدلة والحجج.

ومن الآليات الحجاجية التي اعتمد عليها نجد:

-تعددت الآليات اللغوية في خطبه من تكرار وتوكيد، وتوظيف للروابط و العوامل الحجاجية التي تحدث عنها ديكرو"، (الواو، الفاء، إنّ، لكن، قد ولقد، إلاّ، إنّما...) بالإضافة إلى توظيفه للأفعال الكلامية (النداء، النهي، النفي، الأمر، الاستفهام والقسم) ونجد أن كل هذه الآليات لعبت دورا حجاجيا ساهم في تأدية المعنى وتأكيده، وانسجام الخطاب وتوجيهه توجيها حجاجيا قصد الإفهام والتأثير، ولفت انتباه السامعين وحملهم على تغيير وجهات نظرهم.

-كما تنوعت الآليات والأشكال الحجاجية في خطب الحسن البصري وذلك من خلال توظيفه(للتشبيه والاستعارة، والكناية)، فهذه الصور البيانية تعرف عند "بيرلمان" بالتمثيل فقد كان اهتمامه بها شديد وأعطاها دورا مهما في الحجاج، نظرا لما تحدثه من تأثير في النفوس، وعملها على تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي، فيتفاعل معها ويستجيب لها.

- كما استخدم الحسن البصري المحسنات البديعية (طباق، مقابلة ، سجع، جناس) فكانت له عونا في عملية إقناع المتلقين والعمل على زيادة درجة إذعان الجمهور المخاطب .

-بالإضافة إلى هذا نلاحظ استعمال الحسن البصري متضمنات القول، التي تمثلت في التضمين من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال الصحابة، وبذالك يكون تأثيره على المتلقين أكبر.

-كما كانت الحجج شبه منطقية أو ما يعرف بالسلالم الحجاجية حاضرة في خطب الحسن البصري"، فعملت على التدرج في الحجج الواردة من قوية إلى ضعيفة، وذلك من أجل زيادة درجة التأثير والإقناع.

وبذلك نخلص إلى أنّ هذه الأساليب والآليات الحجاجية المعتمدة قد لعبت دورا كبيرا من الناحية الجمالية الإقناعية التأثيرية، وذلك لما تحمله من طاقة حجاجية عالية.

ملاحق

خطب الحسن البصري :

الخطبة الأولى

قال الحسن البصري رحّمه الله:

«يابن آدم: بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا. يابن آدم: إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه، الثواء هاهنا قليل، والبقاء هناك طويل، أمّتكم آخر الأمم، وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم، فماذا تنتظرون المعاينة فكان قد، هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحاليها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بنى آدم. فيالها موعظة لو وافقت نمن القلوب حياة أمّا إنّه والله لا أمة بعد أمتكم، ولا نبي بعد نبيّكم، ولا كتاب بعد كتابكم، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وإنّما ينتظر بأوّلكم أن يلحقه آخركم، من رأى محمدا صلى الله عليه وسلّم فقد رآه غاديا ورائحا، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، رفع له علم فشمّر، فالوحاء الوحاء، والنجاء النجاء علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة قد أسرع بخياركم: وأنتم كل يوم ترذلون، فماذا تنتظرون إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمدا عليه الصلاة والسلام على علم منه، اختاره لنفسه،وبعثه برسالته، وانزل عليه كتابه، وكان صفوته من خلقه، ورسوله إلى عباده، ثمّ وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض، وآتاه منها قوتا وبلغة، ثمّ قال:« لقد كان لكم في رسول أسوة حسنة».فرغب أقوام عن عيشه، وسخطوا ما رضى له ربه، فأبعدهم الله وأسحقهم .

يابن آدم: طأ الأرض بقدمك، فإنها عن قليل قبرك، واعلم أنّك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمّك. رحم الله رجلا نظر فتفكر، وتفكّر فاعتبر، وأبصر فصبر، فقد أبصر أقوام ولم يصبروا، فذهب الجزع بقلوبهم، ولم يدركوا ما طلبوا، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا.

يابن آدم: اذكر قوله:«وكلّ إنسان ألزمناها طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ كتابك، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا».عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك، خذوا صفا الدنيا، وذروا كدرها، فليس الصفو ما عاد كدرا، ولا الكدر ما عاد صفوا، دعوا ما يريبكم إلى مالا يريبكم، ظهر الجفاء وقلّت العلماء، وعفت السنة، وشاعت البدعة، لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلاّ قرّة العين، وجلاء الصدور، ولقد رأيت أقواما كانوا-من حسناتهم أنّ تزّد عليهم –أشفق منكم-من سيّئاتكم أن تعذبوا عليها - ،وكانوا فيما أحلّ الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرّم الله عليكم منها، مالي أسمع حسيسا، ولا أرى أنيسا ذهب النّاس وبقي النسناس، لو تكاشفتم ما تدافنتم، تهاديتم الأطباق ولم تتهادو النصائح ، قال ابن الخطاب:«رحم الله أمرأ أهدى إلينا مساوينا »أعدوا الجواب، فإنّكم مسؤلون، المؤمن من لم يأخذ عن رأيه، ولكّنه أخذه من قبل ربّه، إنّ هذا الحق قد جهد أهله، وحال بينهم وبين شهواتهم، وما يصبر عليه إلاّ من عرف فضله، ورجا عاقبته، فمن حمد الدنيا ذمّ الآخرة، وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على سخطه.

يابن آدم: الإيمان ليس بالتحلي ولا التمني، ولكنه ما وقر في القلوب ، وصدّقه العمل.

الخطبة الثانية:

وكان إذا قرأ:« ألهاكم التكاثر» قال:

عمّ ألهاكم التكاثر؟ عن دار الخلود، وجنّة لا تبيد، هذا والله فضح القوم، وهتك الستر، وأبدى العوار،تنفق مثل دينك في شهواتك سرفا، وتمنع في حق الله درهما ستعلم يا لكع، الناس ثلاثة: مؤمن، كافر، ومنافق، فأمّا المؤمن: فقد ألجمه الخوف وقوّمه ذكر العرض، وأماّ الكافر: فقد قمعه السيف، وشرّده الخوف، فأذعن بالجزية، وسمح بالضريبة، وأمّا المنافق: ففي الحجرات والطرقات، يسيرون غير ما يعلنون،

ويضمرون غير ما يظهرون، فاعتبروا إنكارهم ربهم، بأعمالهم الخبيثة، ويلك؟ قتلت وليه، ثمّ تتمنّى عليه جنته؟

الخطبة الثالثة:

وكان يقول: «رحم الله رجلا خلا بكتاب الله، فعرض عليه نفسه، فإن وافقه حمد ربّه، وسأله الزيادة من فضله، وإن خالفه أعتب وأناب، وراجع من قريب، رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله فقال:«صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكينكم مساكينكم، لعل الله يرحمكم، فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده، فقال:« وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وكان عند ربه مرضيا». ياابن آدم: كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك، وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس؟» .

الخطبة الرابعة:

وكان يقول:« لا يستحق أحد حقيقة الإيمان، حتى لا يغيب الناس بعيب هو فيه ولا **يأمر** بإصلاح عيوبهم، حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه، فإنّه إذا فعل ذلك لم يصلح عيبا إلاّ وجد في نفسه عيبا آخر ينبغي له أن يصلحه، فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره، وانّك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره، فلا تحقرّن شيئا من الشر وإن صغر فإنّك إذا رأيته ساءك **مكانه**.

الخطبة الخامسة:

وكان يقول: « رحم الله عبدا كسب طيبا، وانفق قصدا، وقدّم فضلا، وجّهوا هذه الفضول حيث وجهها الله، وضعوها حيث أمر الله، فإنّ من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم، ويؤثرون بالفضل، إلا انّ هذا الموت قد أضّر بالدنيا ففضحها، فلا والله ما وجدا ذو لب فيها فرحا، فإياكم وهذه السبل المتفرقة، التي جماعها الضلالة، وميعادها النار، أدركت من صدر هذه الأمة قوما كانوا إذا جنّهم الليل فقيام على

أطرافهم، يفترشون خدودهم، جري دموعهم على خدودهم، يناجون مولاهم في فكاك رقباهم، إذا عملوا الحسنة سرّتهم، وسألوا الله أن يتقبلها منهم، وإذا عملوا سيئة ساءتهم، وسألوا الله أن يغفرها لهم، يابن آدم: إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس هاهنا شيء يغنيك، وإن كان يغنيك مايكفيك، فالقليل من الدنيا يكفيك، يابن آدم: لا تعمل شيء من الحق رياء، ولا تتركه حياء»

الخطبة السادسة:

وكان يقول:« إن العلماء قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا، وكانوا يقضون بعلمهم على الدنيا مالا يقضي أهل الدنيا بدنياهم فيها، وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة ف علمهم، فأصبح اليوم أهل العلم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم، فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم، وزهدوا في علمهم، لما رأوا من سوء موضعه» وكان يقول: لا أذهب إلى من يواري غنى غناه، ويبدي دونى بابه، ويمنعني ما عنده، وأدع من يفتح لي بابه، ويبدي لي غناه، ويدعوني إلى ما عنده.»

الخطبة السابعة:

وكان يقول:« يابن آدم، لاغنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر،مؤمن مهتم، وعلج أغتم، وأعرابي لا فقه له، ومنافق مكذّب، ودنياوي مترف، نعق بهم ناعق فاتبعوه، فراش نار، وذبّان طمع، والذي نفس الحسن بيده، ما أصبح في هذه القرية مؤمن إلاّ أصبح مهموما حزينا، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله، الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بلاء صاروا إلى حقائقهم، فصار المؤمن إلى إيمانه، والمنافق إلى نفاقه، أي قوم: إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم، فسارعوا إلى ربكم، فإنّه ليس لمؤمن راحة دون الجنّة، ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ

من نفسه، وكانت المحاسبة من همّه»

الخطبة الثامنة:

وقال في يوم فطر- وقد رأى الناس وهيئاتهم-: إنّ الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته غلى مرضاته، فسبق أقوام، ففازوا وتخلّف آخرون فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاعب، في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، أما والله أن لو كشف الغطاء، لشغل محسن بإحسانه، ومسيء بإساءته، عن ترجيل شعر، أو تجديد ثوب»

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- أبو الحسن إسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق وتقديم جفنى محمد شرف، دط ،مطبعة الرسالة، 1930.

3- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، ط3، دار الغرب الإسلامية، بيروت لبنان، 2001.

4- أحمد أمين زكي ونجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935.

5- أحمد زكي صفوة، جمهرة خطب العرب في العور العربية الزاهرة، م1، ط1، وكيل كلية دار العلوم، بيروت القاهرة، 1933.

6- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، ط7، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.

7- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003.

8- السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزو، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1987.

9- ابن رشيد القيرواني، العمدة في محاسن الشعر نقده، تح:عبد الواحد شعلان، ج1، ط1، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة.

10- تقي الدين علي، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام سعيتو، ج1، ط1، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، 1987.

11- جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألولة، المغرب.

12- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، (دط)، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس1، كلية الآداب منوبة.

13- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، 2006.

14- خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ط1، عالم الكتب الحديث، الجدارا للكتاب العالمي.

15- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2011.

16- صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط1، منتديات سور الأزبكية، سوريا دمشق، 2008.

17- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الرباط المغرب، 1998.

18- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي، الرباط المغرب، 2000.

19-عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014.

20- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الاردن 2014.

21- عبد الله صولة ، الحجاج في القران من خلال خصائصه الأسلوبية، ط1، دار الفارابي، بيروت-لبنان،2001.

22-عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ط1، مسكيلياني للنشر، تونس، 2011.

23- عبد الهادي ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، بنغازي-ليبيا، 2004.

24- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان و المعاني و البديع، دط، دار المعارف، 1999.

25- علي جاسم سلمان، معاني الحروف العربية، دط، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن عمان.

26- فريدة موساوي، المفاهيم الأساسية في تحليل الخطاب،ط2، عالم الكتب للنشر، الجزائر، 2010.

27- فيليب وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر:محمد صالحن ناجي الغامدي ،ط1، مركز النشر العلمي، جدة المملكة السعودية.

28- كمال الدين ميثم البحراني، أصول البلاغة، تح: عبد القادر حسين، دار الشروق القاهرة-بيروت، 1980.

29- محمد أحمد قاسمو محي الديب، علوم اللغة، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس –لبنان 2003.

30- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ط2، منتديات سور الأزبكية، إفريقيا الشرق.

31- محمد العمري، البلاغة العربية امتداداتها وأصولها، دط، إفريقيا الشرق، بيروت لبنان، 1999.

32- محمد حسن مهدي بخيت، المنطق الأرسطي بين القبول والرفض،ط1، عالم الكتب الحديث، اربد-الأردن، 2014.

33- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط3، مركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب،2012.

34- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، 2008.

مجلات :

35- جليل رشيد فالح، خطبة حجة الوداع، دراسة تحليلية بلاغية، مجلة آداب الرافدين، العدد13،2007.

36- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات إشتغاله، مجلة عالم الفكر.

37- مجلة كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد، ج1، العدد43، 2015.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة.....أ-ب

الفصل الأوّل: في مفهوم نظرية الحجاج.

المبحث الأوّل: الحجاج بمفهومه العام.

1-الحجاج في التراث الغربي.....04

1-1-عند السفسطاء.....04

1-2-عند أفلاطون.....07

1-3-عند أرسطو.....08

2-الحجاج في التراث العربي.....09

2-1-عند الجاحظ.....10

2-2-عند السكاكي.....13

2-3-عند علماء الأصول والكلام.....15

المبحث الثاني: الحجاج من منظور البلاغة الجديدة والتداولية.

1-الحجاج عند علماء الغرب.....18

1-1-عند بيرلمان وتيتكا.....18

1-2-عند ميشال مايير.....23

1-3-عند ديكرو وانسكومبر.....25

2-الحجاج عند المعاصرين العرب.....31

2-1-عند حمادي صمود.....31

2-2-عند محمد العمري.....33

2-3-عند طه عبد الرحمن.....34

الفصل الثاني: الآليات الحجاجية في خطب الحسن البصري.

1-الآليات الحجاجية اللغوية/التداولية.....36

1-1-التكرار.....36

1-2-الروابط والعوامل الحجاجية.....37

1-3-الأفعال الكلامية.....44

2-الآليات الحجاجية البلاغية.....51

2-1-من ناحية البيان.

2-1-1-التشبيه.....51

2-1-2-الاستعارة.....52

2-1-3-الكناية.....53

2-2- من ناحية البديع.

2-2-1-الطباق.....54

2-2-2-المقابلة.....55

2-2-3-الجناس.....55

2-2-4-السجع.....56

2-2-5-متضمنات القول.....57

الخاتمة.....64

الملاحق.....69

قائمة المصادر والمراجع.....75

فهرس الموضوعات

يعّد الحجاج من أهّم مرتكزات التحليل التداولي في عصرنا الحالي، وهو جزء لا يتجزأ من الخطاب وذلك لما يحتويه الحجاج من آليات وأدوات تجعل منه وسيلة لإقناع المتلقي وتقريب وجهات النظر وإيضاح الحقائق ، ولا يتحقق ذلك ما لم يتّسم الخطاب بسماته اللغوية والبلاغية .

ولقد سّاهم هذا الاهتّمام بظهور ما يسمى "بالبلاغة الجديدة"التّي شجّعت على ظهور الكثير من البحوث والدراسات في هذا المجال، تمخّضت على إثرها اتجاهات عملت على تكملة ما خاض فيه الفلاسفة والبلاغيين قديما، فالحجاج ليس بدرس حديث ولا مستجد وإنما تعود جذورها إلى اليونان مع مثالية أفلاطون وبلاغة أرسطو، فعمل أصحاب هذه الأبحاث على إعادة النظر في آليات الحجاج وتطبيقاته، انطلاقا من فكرة أنّ اللغة تحمل طبيعة ووظيفة حجاجية تظهر في بنيتها (المعجمية، الصرفية، النحوية والدلالية)، وتناولوه بالدراسة والتحليل من مختلف سماته اللغوية والتداولية والبلاغية.

في حين لم يحظ الحجاج بالاهتمام الكافي في الدراسات العربية الحديثة التي لم تعد أن تكون مجرد محاكاة للتراث الغربي والعربي القديم، واتجهوا إلى ترجمة أعمالهم بدء من التراث اليوناني إلى اليوم وقد ظهر الحجاج عندهم من خلال اهتمامهم بالخطاب القرآني ومحاولة فهمه وتفسيره واستنباط الأحكام الشرعية منه.

ولما كان هذا البحث في مفهوم الحجاج يمثل ميدانا واسعا، ويعّد ركيزة لكل النصوص النثرية والشعرية أردنا أن نخصّه بالدراسة محاولين رصد مساره التاريخي من القديم إلى عصرنا الحالي ومعرفة آلياته وتطبيقاته . ومن أجل التعّرف على هذه الآليات واستنباطها عملنا على تطبيقها على جنس من الأجناس الأدبية المهمة، وهي الخطبة محاولين إظهار الإستراتيجية الحجاجية المتبعة التي تساهم في انسجام الخطاب وتماسكه حتى يكون خطابا حجاجيا متكاملا.

ومن خلال كلّ هذا برزت جملة من التساؤلات حاولنا الإجابة عليها ويمكن تلخيصها فيما يلي:

-ما مفهوم الحجاج بين القديم والحديث ؟

-ما هي الآليات الحجاجية المعتمدة في دراسة النصوص؟

-كيف وظّف "الحسن البصري" الأشكال الحجاجية ، وهل توافقت وآليات الحجاج في عصرنا؟

-ما هو الدّور الذّي لعبته هذه الآليات في خطب الحسن البصري؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وتوضيحها عمدنا إلى تقسيم هذا العمل إلى فصلين، فصل نظري وفصل آخر تطبيقي فأما الفصل الأوّل فجاء بعنوان" في مفهوم نظرية الحجاج"، وقد قسّمناه إلى مبحثين الجزء الأوّل عنوناه "بالحجاج بمفهومه العام" فتعرضنا فيه إلى مفهومه الحجاج عند كل من الفلاسفة والبلاغيين العرب، وعلماء الأصول والكلام والذي تجسّد عندهم بين الجدل بنوعيه المناظرة والخطابة وبين البيان والاستدلال، أمّا الجزء الثاني من الفصل فكان بعنوان الحجاج من منظور البلاغة الجديدة والتداولية، تطرّقنا فيه إلى النظرة الجديدة للحجاج والذي برز مع أعمال كل من بيرلمان وتيتكا "وديكرو بالإضافة إلى بعض نماذج من أعمال الباحثين العرب في عصرنا.

أمّا الفصل الثاني فأقمّناه على دراسة تطبيقية على خطب "الحسن البصري" وعنوناه بآليات الحجاج في خطب الحسن البصري، وتناولنا فيه الآليات الحجاجية اللغوية /التداولية والآليات البلاغية الواردة في الخطب.

وانهينا البحث بخاتمة ذكرنا فيها جملة النتائج المتوصل إليها.

ولقّد اعتمدنا بتحليلنا لهذا الموضوع المنهج على المنهج التداولي كونه الأنسب لهذا النوع من الدراسات ،ولأنّ الحجاج من أهم مكونات هذا المنهج التداولي، وعمدنا على استخراج الآليات التي اعتمدها الخطيب ووظفها في خطابه.

وللبحث في هذا الموضوع استدعى الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها : كتاب جمهرة خطب العرب"لأحمد أمين صفوة"، نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود، الحجاج في البلاغة المعاصرة لمحمد سالم"، خطاب الحجاج والتداولية عباس حشاني"الحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة"، اللغة والحجاج لأبوبكر العزّاوي"،بالإضافة إلى كتب ومجلات ساعدتنا على إتمام بحثنا.

وفي الأخير الشكر موصول إلى الأستاذة المشرفة" فريدة موساوي" التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها وملاحظاتها المستمّرة في سبيل إتمام هذا العمل.

الفصل الأوّل: في مفهوم نظرية الحجاج

المبحث الأول: الحجاج بمفهومه العام

1-في التراث الغربي

2-في التراث العربي

المبحث الثاني: الحجاج من منظور التداولية و البلاغة الجديدة

1-عند العلماء الغرب

2-عند المعاصرين العرب

المبحث الأوّل:الحجاج بمفهومه العام:

يعّد الحجاج من أهّم قضايا البلاغة قديما وحديثا، وقد اندّرج قديما في إطار مجموعة من المباحث كالخطابة والبلاغة وفّن الإقناع كما ورد في الثقافتين الغربية والعربية بتسميات مختلفة كالجّدل، التناظر البيان وغيرها من الأطّر في مؤلفات اليونان والرومان وصولا إلى العرب،وعلى هذا نركّز على التطوّر التّاريخي للحجاج عند كل من الفلاسفة والبلاغيين و كذا علماء الأصول والكلام .

1: الحجاج في التراث الغربي:

لا يخفى أنّ النّظر في الحجاج والبحث في أصنافه وتقنيّاته لا يتسنّى بدون الانطلاق من بداية تنظير السفسطائيين وآراء أفلاطون وأرسطو الذّين قدّموا الكثير من الأساليب الحجاجية المهمة التي أصبحت من المكونات المحورية في عمليات الحجاج من بعدهم، وسنحاول الوقوف على ما قدمه هؤلاء الفلاسفة الغربيين.

1_1: الحجاج عند السفسطائيين :

أدى السفسطائيون دورا كبيرا في النهوض بالفلسفة اليونانية التي عرفت بفضلهم تطورا وازدهارا في مجال القول والكلام، ولقد انصرفت فلسفة السفسطاء من الاهتمام بالطبيعة إلى الاهتمام بالإنسان العاقل الحكيم المدبر وخصته بالبحث والدرس، وما ميّز رواد هذه الحركة تمتعهم بالبلاغة اللغوية والخبرة الجدلية.

وقد كانت غايّة السفسطاء في ممارسة الحجاج الوصول للسلطة، وذلك بتعليم الشباب فنون الخطابة الجدل لكسب الناس كما قال بروتاغوراس :« أوافق على أنّي سفسطائي وظيفتّي تعليم النّاس.»[1]

فقد اتّخذوا التعليم حرفة لهم وتوجهوا إلى تعليم النّاس فنون البلاغة وحسن الإلقاء والسياسة والصرف والنحو وغيرها من العلوم .« بذلك كانوا يعلمون كيف يكسبون خصومهم بكل الوسّائل، باللّعب بالألفاظ والاستّعارات والكنايّات الجذّابة وخداّع المنطق وتمويه الحقيقة، ومن اجل ذلك سمّي اللّعب بالألفاظ والتهريج بالحجج "سفسطة" اشتقاقا من السفسطائيين»[2]، وعلى هذا كانت غايّتهم تعليم طلبتهم بلاغة الإلقاء وحسن القول والقدرة على الجدل، إمّا بفكرة صحيحة أو التلاعب بالألفاظ وعلى أي وجه كان سواء بالحق أو الباطل.

ويظهر الحجاج في دراساتهم انطلاقا من اهتمامهم:«ببنية الكلمة والجملة والبحث في السبل الممكنة لتحقيق الإقناع وتغيير مواقف الآخرين، وقد استعانوا في سبيل تلك الغاية بخبرة بالغة في مقامات الناس والقول معا، وأيضا آليات أجزاء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية»[3]، هذا يعني أنّ اهتمامهم انصب حول البنية والكلمة بهدف التأثير في الناس، وذلك بمراعاة مقاماتهم وسياق القول ومقاصده وظروف التواصل واستعانوا في ذلك بكفاءتهم اللغوية والبلاغية في توظيف الأساليب الإقناعيّة التأثيرية (الاستعارات ،الكنايات...) بهدف تغيير مواقف السامعين لكسب الناس

[1]– هشام الريفي،الحجاج عند أرسطو،ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود،جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية،تونس1،كلية الآداب منوبة،ص: 296.

[2]–احمد أمين وزكي نجيب محمود،قصة الفلسفة اليونانية، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،1935ص94

[3]– عباس حشاني، خطاب في الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد– الأردن، 2014، ص21 .

كما عمد السفسطائيون في ممارستهم الحجاج إلى :«بناء حججهم على فكرة النفعية المتعلقة باللّذة، أي الهوى، وليس النفع المتعلق بالمثل والخير »[1]، ذلك يعني أنهم غلّبوا كل ما هو نافع وكل ما من شأنه أنّ يحقّق لهم اللّذة والنفع على الخير والقيم الأخلاقية، وهذه الفكرة تعتبر مدار الصراع بين أفلاطون والسفسطائيين، فنقدهم هذا الأخير لتبنيهم فكرة النفع واللّذة واعتبرت نتائجهم ظنّية منبعها الهوى واللّذة وهي بعيدة عن تحقيق الخير والمثل والأخلاق .

"فأرسطو" نقد السفسطائيّين من ناحية استعمالهم للمغالطات والتلاعب بالألفاظ حتى وان كانت مخالفة للواقع،فهذه وسيلتهم لتحقيق الإقناع«فالسفسطائيّون وجدوا أنّ خير وسيلة لإقناع خصومهم بأنهم على حق هو إقناعهم بأي وسيلة كانت، ولو كان ذلك على حساب الحق وعلى رقاب الآخرين، وكان سبيلهم في تحقيق مطالبهم هو الخطابة باستعمال الكلمات الرنّانة التي لها وقع في أذن السامع والتأثير في نفسه، فزخرفوا أقوالهم بعبارات محبّبة إلى السامع واعتمدوا إثارة العواطف بدلا من استعمال الحجّة والبرهان»[2]

ومن خلال ما تطرقنا إليه نستنتج أن نظرية الحجاج عند السفسطائيين تتمثل في الخدع الكلامية والتلاعب بالألفاظ والهروب من الحقيقة باستعمال حجج واهية وخدّاعة بهدف إقناع المتلقي، ولكن على الرغم من هذا فإن السفسطائيين كانت لهم مساهمة كبيرة في البحث اليوناني، فلولا النظرة السفسطائية لما بذل أفلاطون وأرسطو جهودا جبّارة في حقل الفلسفة , كما أنّ الدراسات المعاصرة أعادت الاعتبار لأرائهم لما فيها من قيّم لغوية بلاغية ومعرفية .

[1]– محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت لبنان، 2008، ص 20.

[2]–محمد حسن مهدي بخيت ،المنطق الأرسطي بين القبول والرفض، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد–الأردن 2014، ص12.

2-1-الحجاج عند أفلاطون :

تمثّلت معالم الفلسفة الأفلاطونية من خلال الجدل مع السفسطائيين فقد ثار أفلاطون ضد آرائهم و عمل على تفنيدها, فبالنسبة له هي ليست مؤدية للحقيقة وبعيدة عن الواقع ونتائجها نسبية غير ثابتة .

وقد اعتمد أفلاطون لمواجهة الممارسات الحجاجية السفسطائية على محاورتين هما محاورة "غورجياس"و "فيدر" نقد فيهما البلاغة السفسطائية بصورة عامة .

ففي محاورة "غورجياس" بحث فيها موضوع الخطابة ووظيفتها . « في المقطع الأوّل فحص موضوع الخطابة في ضوء مقابلة علم(science) / ظن (opinion) وذكر أنّ الإقناع نوعان إقناع يعتمد على العلم ، وإقناع يعتمد على الظن، والإقناع بالاستناد إلى الظّن هو موضوع الخطابة السفسطائية في رأيه.»[1]،في هذا المقطع خيّر أفلاطون العلم على الظّن لأنّ هذا الأخير قائم على الاحتمال في حين أنّ العلم مبدؤه الصدق والثبات .

أمّا المقطع الثاني من المحاورة «قيّم أفلاطون وظيفة الخطابة في ضوء المقابلة خير/ لذّة، وذكر أنّ هناك صنائع أربعة تحقّق الخير للإنسان,وجسمه ونفسه والعدل»[2]في هذا المقطع قابل أفلاطون بين الخير واللّذة وغلّب الخير لما يعود على الإنسان بالنفع في جسمه ونفسه، على عكس ممارسات الحجاجية الخدّاعة التي لا تؤدي للحقيقة والخير فهو بذلك اهتم بالعلم ووازنه بمعيار الخير.

[1]- فريق البحث في البلاغة والحجاج، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص63.
[2]- مرجع نفسه، ص64.

أمّا محاورة "فيدر" كان مبدؤها الفتنة بالحجاج السفسطائي،فكان كلّها استدراجا للخروج من هذه الفتنة ... والأمر الذي أزعج أفلاطون هو اكتساح ذلك الحجاج وافتتان الشّباب به ولذلك حاول ببعض محاوراته أن يغيّر ذلك الوضع»[1]،نفهم أنّ أفلاطون قد أقام هذه المحاورة لدحض الحجاج السفسطائي الذي اكتّسح عقول الشباب،فحاول إثبات أن حجاجهم قائم على المناورات والأكاذيب وإثارة عواطف السامعين بحجج زائفة مزخرفة ولو كان ذلك مناقض للحقيقة، وذلك ما دفعه لنعتهم بأدعياء العلم والمعرفة.

ونخلص إلى أنّ أفلاطون يعتبر معياريّ الحق والخير أساس لكل حجاج و بلاغة تعود بالنفع على الفرد والمجتمع. فقد كان اهتمامه بالحجاج الأخلاقي المثالي، ففلسفته فلسفة مثالية تعتبر علم المثل والأخلاق هي الأصل .

1-3-الحجاج عند أرسطو:

يعتبر "أرسطو" المرجع الأساسي لمن جاء بعده من غرب وعرب فيما يخص العملية الحجاجية، فبلاغته أخذت منحنى مختلف وانفصلت عن النظريات الفلسفية السابقة، بداية من سقراط وبلاغة السفسطاء وحتّى أفلاطون صاحب المدينة الفاضلة فبلاغته كانت بلاغة استدلال أكثر منها بلاغة مشاعر.

فدراسة "أرسطو" للحجاج قامت على ركيزتين الأولى اختزلها في مفهوم الاستدلال والثانية تقوم على البحث اللّغويوالاستدلال عند أرسطو « تفكير عقلي يتم إنتاج العلم .»

[1]-فريق البحث في البلاغة والحجاج،أهم نظريات الحجاج في التقليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص69.

ويعرفه أيضا « قول مؤلف من أقوال إذا سلم به لزم عنه بالضرورة قول آخر »[1]فحصول ملكة العلم عند أرسطو تقوم على الاستدلال بحيث ينطلق من مقدمات ليصل إلى نتائج ترتبط بها بالضّرورة، وكان تركيز أرسطو على القياس باعتباره أكثر صور الاستدلال أهمية، فالحقيقة فيه ضرورية ولازمة وواحدة، فهو يؤسس فهمه للحجاج على منطلقات منطقية استدلالية .

أمّا الركّيزة الثانية في الحجاج الأرسطي يتمثل في :« البحث اللّغوي في علاقته بالإنسان والوجود، فأكّد بذلك أنّ الإنسان لا يحيا إلاّ باللغة وإدراكه لذاته ووسطه لا يتّم إلاّ بها .»[2]، فاللّغة حسب أرسطو تمثل إنسانية الإنسان، فيها يدرك ذاته ويتعرّف عليها وعلى مكنوناتها وبها يثبت وجوده ويتواصل مع محيطه فلا يستطيع الإنسان أن يحيا بدونها .

كما تطّرق أرسطو أيضا إلى فن الخطابة ودور الحجاج في تقوّية الخطاب، وجعل ثلاث عناصر للخطابة هي:« وسائل الإقناع أو البراهين، الأسلوب أو البناء اللغوي ترتيب أجزاء القول...»[3]، هنا قام أرسطو بتحديد مراحل إنتاج القول، وبالنسبة له تتمثل في البحث عن الحجج والوسائل الإقناعية المناسبة للمقام والخطاب حتى تكون هذه الحجج ناجعة ومؤثرة في السامعين، وهنا يبصر الخطيب الحجّة المناسبة ويحسن توظيفها حسب الأحوال لتلقي القبول من قبل المتلقين، ويقول بحسن ترتيب هذه الحجج

[1]–محمد سالم محمد الأمين الطلبة ،الحجاج في البلاغة المعاصرة , ص36.

[2]– المرجع نفسه، ص40.

[3]–محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ط2، منتديات سورالأزبكية، إفريقيا الشرق، ص20.

فتوضع كل منها في مكانها المناسب في الخطاب وكل ذلك حسبه يكسب الخطاب سيمته البلاغية الحجاجّية .

ويميّز أرسطو بين ثلاث مستويات من الحجج (الإيتوس، الباتوس ، اللوغوس) في علاقتها بالأفعال الثلاث : الخطيب ، المستمع ، الخطاب.

كما خالف "أرسطو" أستاذه "أفلاطون" في فلسفته المثالية التي جمعت بين البلاغة والأخلاق والحقيقة « ومخالفته لأستاذه تنطلق من مسلمتين، أولا جعل البلاغة آلية غير مبالية للأخلاق ولكنّها ليست منافية لها،...ومن جهة أخرى جعل البلاغة تقنية حجاجية لما هو قابل للصواب وليس للحقيقة»[1]، إنّ أرسطو لم يقيّد البلاغة بالأخلاق فهو يرجع استعمالها إلى ضمير الشخص الذي يمكن أن يوظّفها إمّا للخير أو الشر، كما فصل البلاغة عن الأخلاق وحرّرها وعمل على تطويرها كتقنية حجاجية عمادها الحجاج وقوامها عناصر العملية التواصلية من مخاطب، متلقي وخطاب.

2-الحجاج في التراث العربي :

2-1-عند الجاحظ:

يعتبر الجاحظ "من أقطاب البلاغة العربية القديمة الذّين تناولوا الحجاج في مؤلّفاتهم وأخذ النصّيب الأوفّر من الاهتمّام البلّيغ لما له أهمية في نجاح عملية الخطاب، وقد ظهر الحجاج في

[1]- فيليب بروتون وجيل جوتيه،تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ط1، مركز النشر العلم جدّة المملكة السعودية، ص28.

كتابه "البيان والتبيين "، وجعل جلّ الباحثين آرائه في الحجاج منطلق لتطور الدراسات اللّغوية في مجال الحجاج

وقد ورد الحجاج عند "الجاحظ "بمعنى البيان وعرّفه على النحو التالي :« هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان...لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأفصحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع»[1]،من تعريف "الجاحظ" للبيان يتبين لنا العلاقة بين الحجاج والبيان، فالبيان وسيلة للكشف عن المعنى وإيضاحه وغاية الكلام فيه الفهم والإفهام و إزالة اللبس والغموض لتحقيق الإذعان والإقناع وكل هذه العناصر تعدّ مكوّنا من مكوّنات العملية الحجاجية .

ويشير الجاحظ إلى آليات البيان و وسائله « أنّ البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصيغة، و إلى سهولة المخرج ومهارة النطق، وحاجة المنطق إلى الحلاوة كحاجة إلى الجزالة والفخامة وأنّ ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب»[2]، من هنا يتبين أن آراء الجاحظ في البيان تنطبق على الآليات والوسائل الحجاجيّة في التداولية الحديثة، فهو يقدّم الآليات والوسائل التي من شأنها أن تساهم في البيان و الإفهام الذي يستّلزم الخبرة والحذف وضرورة الاستشهاد للحجج

[1]–الجاحظ،البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، ط7 ، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998 ص76 .

[2]– محمد حشاني ،خطاب الحجاج والتداولية ، دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي ، ط1، عالم الكتب الحديث إربد–الأردن ، 2014، ص31 .

وترتيبها ترتيبا مناسبا مع حسن صياغة الألفاظ وتخيّر قولها، وكل هذا كفيل بتحقيق الإقناع، وهذا ما يخّص العناصر الحجاجية الآن والتي تهدف إلى استمالة القلوب وإقناع السامعين والتأثير عليهم.

وأساس البلاغة عند الجاحظ هي مراعاة أحوال المخاطبين والخطاب، وانّ البلاغة والحجاج مترادفان إذ يتقاطعان معا في إقناع المتلقي والتأثير عليه ،ويرى بأنّ الكلام يؤدي وظيفتين:« وظيفة خطابية وما يتّصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج... وأخرى إفهامية من وإفهام وبيان وتبيين»[1] ، إذن فمفهوم البيان مرادف للبلاغة والحجاج، و قد انحصرت وظيفة البيان عنده في البعدين المعرفي والإقناعي.

ويرى محمد العمري أنّ مادة البيان والتبيين لا تخرج عن ثلاثة محاور:

-وظيفة البيان وقيمته (الإفهام والإقناع).

-العملية البيانية وأدواتها.

-البيان العربي قيمته وتاريخه»[2]

فالمحور الأوّل المتمثّل في وظيفة البيّان وقيمته تتجلّى في التأثير والإقناع والفهم والإفهام واستمالة العقول، أمّا المحور الثاني فيختصّ بالأساليب والأدوات البيّانية المستعملة في العملية الحجاجية فهي وسيلة أساسها إحكام الحجّة، أمّا المحور الأخير فتمثل في الدفاع عن هذا البيان وتقاليده ضد كل متطرف،وينوّه "الجاحظ" إلى أهمّية

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة،الحجاج في البلاغة العربية ، ص211 -212

[2]-محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق ، بيروت لبنان ،1999،ص193.

الصـوت والإشّـارة لنجـاح العمليّـة الخطابيّـة ويقـول:« والإشّـارة واللّفـظ شـريكان ونعـم العـون هـي لـه ونعـم التّرجمـان هـي عنـه، ومـا أكثـر مـا تنـوب عـن اللّفـظ ومـا تغنـي عـن الخـط »[1] يؤكـد "الجـاحظ" علـى أهمّيـة الوسـائل غيـر اللّغويـة ويركّـز علـى الإشّـارة ودورهـا المهّـم فـي الإفصـاح عـن المضـمون اللّفظـي، وتعتبـر حجّـة ودلّيـل لحمـل السـامع علـى تبنّـي رأي مـا أو رفضـه، فهـي بـذلك معينـة للّفـظ وتزّيـد مـن درجـة بيانـه و تـأثيره فـي الخطـاب. وبـذلك تعّـد الإشـارة مـن دعـائم الحجـاج ومـن أهّـم وسـائله التّـي تعمـل علـى تأكيـد وتوضـيح الهـدف والمقصد دون تصريح .

ومـن خـلال مـا تطرّقنـا إليـه نخلـص إلـى أنّ الهـدّف الأسّاسـي فـي البيّـان هـو الفهـم والإفهـام بوسـائله اللّغويـة وغيـر اللّغويـة، وأنّ الجـاحظ بتقديمـه لمفهـوم البيّـان تظهـر علاقتـه بالحجـاج والإقناع، ومعالجته له ساهم كثيرا في إثراء البحث الحجاجي ومصطلحاته .

2-2- الحجاج عند السكاكي:

اهـتّم السـكاكي فـي كتابـه "مفتـاح العلـوم" بالبلاغـة وعلومهـا، فهـو مفتـاح لعلـم سـمّاه علـم الأدب جمـع فيـه حصـيلة أنـواع مـن العلـوم الأدبيـة وهـي علـم النحـو والصـرف وعلمـي المعـاني والبيـان وكـذا المنطـق، يقـول « وقـد ضـمّنت كتـابي هـذا مـن أنـواع الأدب دون نـوع اللّغـة، مـا رأيتـه لا بـد منـه، وهـي عـدّة أنـواع متآخـذة، فأودعتـه علـم الصـرف بتمامـه..وأوردتـه

[1]- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن ، 2012، ص48.

علم النحو بتمامه وتمامه بعلمي المعاني والبيان»[1]، يؤكد هنا "السكاكي" على أهمية تآلف هذه العلوم فيما بينها لتحقيق البيان ودورها الكبير في جعل الخطاب بيّنا، ناجعا ومؤثرا.

ويعرّف "السكاكي" البيان بقوله« هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه.»[2]،فالبيان حسب "السكاكي" ضرب من الاستدلال وأنه على المتكلم احتراز الوقوع في الخطأ عند الانتقال بالدلالات، وهنا محاولة لإظهار دور الاستدلال والمنطق في تحقيق المقصد الخطابي مثله مثل النحو، فقد جمع بين علم النحو والمنطق لأنّ بلاغته تعتبر منطقة تقاطع النحو(علم المعاني) والمنطق وعلم البيان.

ويشاطر هذا التعريف للبيّان "القزويني" الذي تأثر هو الآخر بالمنطق وجاء تعريفه للبيان موافقا لتعريف "السكاكي" ومركزا على الدلالة اللزومية إذ يقول :« إنّ دلالة اللفظ إما ما وضع له أو على غيره »[3]،إذا فبلاغة "السكاكي " بلاغة عامة تراعى فيها جميع المستويات التي تدخل في تشكيل الخطاب، والاستدلال من المفاهيم المهمة والمتعلقة بالدرس الحجاجي وحقيقة الاستدلال لديه أن يستلزم شيء شيء أخر إمّا بالنفي أو الإثبات ويظهر هذا في حديثه عن الدلالة بقوله: «...وإنّ دلالة الالتزام أهّم الدلالات وأقربها للحجاج، بالنظر إلى القياس ومقارنته بصفة الأفعال فيها من اللاّزم إلى الملزوم

[1]–السكاكي ،مفتاح العلوم ، تح: نعيم زرزور ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 1987، ص06

[2]– المرجع نفسه، ص162.

[3]–محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم اللغة، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، 2003 ص131

نحو قولك: أمطرت السماء نباتا أي غيثا، من مجازات من اللازم للملزوم، وإنّ الكناية ينتقل فيها كذلك نحو فلان طويل النجاد والمراد طويل القامة»[1]، هنا يظهر أنّ البيان وسيلة للاستدلال، وأنّ الأساليب البيانية من مجاز واستعارة وكناية كلها تعتبر وسائل ذات وظائف حجاجية يستدّل بها في الخطاب كدليل وحجّة يستعملها المتخاطبون.

ويعتبر ذلك تأكيد على تماثل صاحبّي البيّان والاستدلال بحيث يمكن اعتبار الصّورة البيّانية مقدمة كبرى تؤدي في النهّاية إلى استنتّاج أو نتيجة تكون مطروحة في المقدمة .

من هذا الطرح نخلص إلى أنّ "السكاكي" بنظرته المنطقية الاستدلالية أراد الوصول إلى أنّ الأساليب البيانية والأساليب الاستدلالية تنتهجان نفس المنهج وتلتقيّان في نهاية التحليل عند آلية واحدة هي آلية اللزوم، وأنّ الهدف والمقصد واحد وهو الإقناع والتأثير.

3-2- الحجاج عند علماء الأصول والكلام:

بعد تطرّقنا إلى نظرة العلماء العرب أصحاب البلاغة العربية القديمة مع كل من "الجاحظ "و "السكاكي"، سنحاول التعرض إلى كيفية تناول الأصوليين والكلاميين لمفهوم الحجاج الذي ظهر من خلال الدراسات المتنوعة للخطاب القرآني.

لقد كان الخطاب القرآني محل اهتمام جل العلماء قديما وحديثا، من أصوليين وكلاميين وفقهاء ومفسرين، وقد انصبت دراساتهم في فهم كلام الله تعالى وبيان إعجازه وبلاغة ألفاظه، واستنباط أحكامه الشرعية .

[1]-عباس حشاني ،خطاب الحجاج والتداولية، ص40.

ونجد أنّ علماء الأصول قد تناولوا الحجاج باهتمامهم بالخطاب الشرعي وهو عندهم « إمّا خطاب الله وإمّا خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وإمّا خطاب الأمة واهتموا بمقاصد الشريعة، وهي مقاصد الخطاب و ربطوا الأحكام بمقاصدها»[1]،يظهر أنّ هدف الأصوليين هو معرفة مقصد وغاية كل خطاب، خاصة الخطاب القرآني واستنباط أحكامه واعتباره أكثر خطاب يحوي طبيعة وصفة حجاجية ، فجل آياته حجج وبراهين تأكد على وحدانية الله تعالى وتدعو إلى الإيمان بعقيدته.

وعمد أيضا علماء الكلام إلى إثبات التنزّيه القرآني من كل الأكاذيب والمغالطات ودفاعهم عنه والرد على الخصوم والمتطفلين عليه، وقد ظهر الحجاج عندهم من إقناع الخصوم بالحجج والبراهين العقلية وإبطال دعواهم، وذلك ببيان بلاغته وحكمته واتساق نصه وانسجامه .

وقد ورد الحجاج في كثير من مؤلفات كل من الأصوليين والكلاميين، ومن بين هذه المؤلفات نجد "ابن حجة " الذي يعرفه بقوله :« هو أن يأتي البليغ على صحّة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية(...) فعلم الكلام هو إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة»[2]، ويظهر الحجاج هنا بمعنى الجدل .

[1]–خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ط1، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الاردن،2008، ص113.

[2]– تقي الدين علي، خزانة الادب وغاية الارب، شرح عصام سعيتو، ج1، ط1، منشورات دار ومكتبة دار الهلال، بيروت –لبنان 1987، ص346.

ونجد أيضا "ابن وهب" قد ربط الحجاج بالجدل والمجادلة في كتابه "البرهان في وجوه البيّان بقوله:« وأمّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجّادلون .»[1]، من كلام "ابن وهب" يظهر أنّ الحجاج عنده مرادف للجدل الذي هو تقديم وإقامة حجج وبراهين من طرف المتخاطبين، ويعمل كل طرف بإقناع خصمه لأجل الأخذ برأيه أو معتقده.

أمّا" أبو الوليد الباجي" فيعّد الحجاج من أرفع العلوم، وقد عرّفه في كتابه "المنهاج في ترتيب الحجاج" بقوله:« الحجاج هو السبيل إلى معرفة الاستدلال وتميّيز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة ولا اتّضحت محجّة، ولا علم صحيح من سقيم ...»[2]، يظهر من تعريف "الباجي" بأنّه لولا الجدل لما قامت الحجة ولا عرف حق من باطل، والملاحظ أنه هو أيضا أردف الحجاج بالجدل .

[1]– ابو الحسن اسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح:جفنى محمد شرف، مطبعة الرسالة، 1930، ص176.

[2]– الوليد سليمان أبو الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت– لبنان، 2001، ص8.

المبحث الثاني: الحجاج من منظور التداولية والبلاغة الجديدة :

بعد تطرقنا لجهود القدماء ونظرتهم إلى الحجاج والتي تجسدت عندهم بين الجدل بنوعيه المناظرة والخطابة وبين البيان والاستدلال والبرهان وغيرها، فإنّ هذا الموروث القديم قد أعطى نظرة عامة والتي كانت بمثابة الركيزة الأساسية التي قامت عليها نظرية الحجاج المعاصر.

وسنتطرق في هذا الجزء من البحث إلى التطور الذي طرأ على التصور القديم للحجاج والتي أعادت التداولية بعثه من جديد، وتعاطت معه بنظرة وقراءة جديدة وظّف فيها ما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة.

لقد ظهر الحجاج كمبحث أساسي في التداولية وعرف اهتمام كبير، بحيث برز بشكل واسع في بحوث وأعمال المدارس الغربية أهمها المدرستين البلجيكية والفرنسية، من خلال مؤلفاتهم التي سلكت اتجاهات مختلفة مع "بيرلمان وتيتيكا وميشال مايير" ، وأيضا"ديكرو وانسكومبر" وغيرهم بالإضافة إلى الجهود العربية التي عملت على إعادة قراءة التراث البلاغي في ضوء الدارسات النقدية المعاصرة.

1- الحجاج عند علماء الغرب:

1-1-بيرلمان وتيتكا :

قد أضحى مصطلح الحجاج مفهوما واسعا وأصبح مجالا لكل العلوم ، وتعد المدرسة البلجيكية أوّل من تطّرق لهذا البحث من خلال كتاب بيرلمان وزميله الموسوم ب"البلاغة الجديدة" حيث عبّرا في كتابهما عن نظرية جديدة في الحجاج، وتكمن الغاية من تأليف

هـذا الكتـاب فـي إخـراج الحجـاج مـن دائـرة الخطابـة والجـدل :« فقـد عمـل الباحثـان علـى تخلـيص الحجـاج مـن التهمـة اللاّصـقة بأصـل نسـبه وهـو الخطابـة...وأيضـا علـى تخليصـه مـن صـرامة الاسـتدلال الـذي يجعـل المخاطـب بـه فـي وضـع ضـرورة وخضـوع واسـتلاب، فالحجـاج عنـدهما معقوليـة وحريـة »[1]، فالحجـاج عنـد "بيرلمـان " مخـالف للخطابـة والجـدل الـذي ميّـز دراسـة أرسـطو، إذ هـو حريـة اختيـار واسـتعمال للعقـل علـى عكـس الاسـتدلال الـذي تحكمـه الاعتباطيـة واللامعقولـة والـذي يلـزم السـامعين علـى التسـليم بـالرأي الآخـر بالضـرورة والإلزام .

وتعتبـر البلاغـة الأرسـطية محفّـز لبلاغـة "بيرلمـان" وزميلـه، حيـث عمـلا علـى بنـاء بلاغـة مـن خـلال تجديـد آراء أرسـطو:« ارتبطـت البلاغـة عنـد أرسـطو بالحجـاج والخطـاب الإقنـاعي وهـذا مـا نجـده عنـد "بيرلمـان وتيتكـا "..ويمكـن اعتبارهـا بلاغـة أرسـطية جديـدة ولكـن فـي ضـوء رؤيـة جديـدة.»[2]، فقـد حّـاول الباحثـان إعـادة الطّـابع الفلسـفي لآراء أرسـطو كونهـا تحصـر البلاغـة فـي الإقنـاع، فكـان عملهـا منـدرجا ضـمن الأثـر الأرسـطي الـذي يعتبـر نقطـة انطلاقـة للبلاغـة الجديـدة ،وأهّـم تعريـف يقدمـه "بيرلمـان" للحجـاج هـو«موضـوع نظريـة الحجـاج هـو دراسـة تقنيـات الخطـاب التـي مـن شـأنها أن تـؤدي بالأذهـان إلـى التسـليم بمـا يعـرض عليهـا مـن أطروحـات أو تزيـد فـي درجـة ذلـك التسـليم»[3]، يظهـر أنّ الحجـاج عنـده قـائم علـى تقنيـات وآليـات حجاجيّـة بلاغيـة ومنطقيـة يوظّفهـا المحـاجج فـي خطابـه والتـي

[1]عبد الله صولة ،في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، ط1 ، مسكيلياني للنشر ، تونس ، 2011، ص12.11 .

[2]–جميل حمداوي ،نظريات الحجاج ، شبكة الألولة ، المغرب ، ص27.26 .

[3]– نقلا عن عبد الله صولة، الحجاج في القرءان من خلال خصائصه الأسلوبية، ط1، دار الفارابي بيررت لبنان 2001، ص27.

تعتبر دلائل وبراهين وحجج تجعل المتلقي يسلّم بذلك الرأي أو تلك القضية، فأنجع حجاج ما وفّق صاحبه في جعل درجة الإذعان لدى السامع قوية بشكل يدفعه لقبول تلك القضية أو رفضها .

ومن خلال تعريف "بيرلمان" للحجاج تظهر الغاية منه وهي أنّ: « غاية كل حجاج جعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو الزيادة في ذلك الإذعان »[1]،فغاية الحجاج هو الوصول إلى جعل العقل يقبل كل ما يطرح عليه من قضايا وآراء،أي إن فاعلية الحجاج تكمن في تحقيق الإقناع لدى السامع وحمله على قبول الرأي الآخر والتسليم به بطريقة غير مباشرة دون إلزام وضرورة حتمية، فالحجاج عنده مخالف للاستدلال المنطقي الذي جاء به أرسطو القائم على الإرغام والإلزام والتي يتم فيه استنباط مقدمات تفضي إلى نتائج حتمية.

ولعلّ هذه السمات التي ميّزت الحجاج جعلته يحتل مكانة مهمة إلى جانب الاستدلال والإقناع وأصبحت لديه مميزات وملامح يعرف بها، وقد حدّد بيرلمان وزميله خمسة ملامح رئيسية :«أنّ يتوجه إلى مستمع، أنّ يعبّر عنه بلغة طبيعية، وأنّ تكون مسلماته لا تعدو كونها احتمالية، ألاّ يفتقر تقديمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة وأيضا أنّ تكون نتائجه غير حتمية بل احتمالية»[2]، فالحجاج يستلزم توفر مستمع أو جمهور يتلقى ذلك الخطاب، ويشار إلى أنّ الخطابة الجديدة لا تقف على الجمع والحشد إنّما قد يكون بين متخاطبين أو بين الشخص ونفسه ويشترط في ذلك الخطاب أن يكون

[1]–عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ص30.

[2]–محمد سالم محمد الأمين الطلبة، في نظرية الحجاج، ص14.

بلغة بسيطة وطبيعية ومفهومة، يستطيع من خلالها المستمع أن يتقبل ويسلم بتلك الآراء التي يجب أن تكون بعيدة عن الاستدلال المنطقي.

كما قسّم الباحثان الحجاج حسب نوع الجمهور إلى نوعين:

-الحجاج الإقناعي: يهدف إلى إقناع الجمهور الخاص .

-الحجاج الإقتناعي: ويهدف إلى أن يسلم به كل ذي عقل، فهو عام ويعتبرونه أساس الإذعان..[1]

وما دفع الباحثان إلى هذا التقسيم هو الفرق الموجود بين الإقناع و الاقتناع، كون أنّ الإقناع يكون بمخاطبة الخيال والعاطفة ممّا لا يدع مجالا لإعمال العقل ولحرية الاختيار، وهنا يكون للغير دخل في الإقناع والتأثير على المتلقي، أمّا الاقتناع فيكون نابع من حرية الاختيار وعلى أساس عقلي، وهنا يكون المخاطب هو من أقنع نفسه بنفسه وبواسطة أفكاره الخاصة .

ويرى بيرلمان أنّ لكل خطاب لا بد أن يكون مبنيا على منطلقات حجاجية يمكن اعتبارها نقطة انطلاق للحجاج، وقد وقف بيرلمان وزميله بشكل مفصل عند هذه المنطقات واعتبرها مقدمات تتضمن: وقائع وحقائق و إفترضات وكذا قيم وهرميات ومواضع(المعاني)، وأنّ هذه المقدمات بكل فروعها تؤسس شروط إقامة الحجاج ومساره، وينطلق منها المحاجج في خطابه وكلها تسعى من أجل حمل الجمهور المتلقي للإذعان

[1]- عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ، ص15

وقبول تلك الحجج، ويشير أيضا إلى أنّ لبناء هذه الحجج تقنيات ووسائل محددة تنظم العلاقات بين تلك الحجج حسب سياقها المناسب.

وقسّم الباحثان تقنيات الحجاج إلى فئتين هما تقنيات الوصل والفصل، والتي يقصد بها « الوصل ما يتم به فهم الخطب التي تقرب من العناصر المتباعدة..وتقنيات الفصل وهي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعد كلّا واحدا..أو فصلها وتفكيكها »[1]، نفهم أنّ الأشكال الحجاجية الاتصالية تعمل على تقريب العناصر المتباينة وتخلق نوعا من التضامن بينها من أجل وضعها في قالب موحد، أمّا الأدوات والوسائل الانفصالية فتعمل على إحداث القطيعة بين العناصر الموّحدة وإفساد الترابط الموجود بينها .

كما حصر الباحثان الأشكال الاتصالية في ثلاثة أنواع وهي : الحجج شبه منطقية،الحجج المؤسسة على بنية الواقع والحجج المؤسّسة لبنية الواقع .

أمّا الأشكال والطرائق الانفصالية فإنّها تعمل على الفصل بين العناصر:«إنّ الانفصال بين العناصر الحجّاجية القائمة على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامن بعضها مع بعض، ومرده إلى الزوج الظاهر/الواقع، أو الحقيقة الظاهر هو الحد الأول والواقع هو الحد الثاني »[2]، فالحّد الأوّل هو الظاهر، وهو التصور الأولي الذي يصادف الشخص أو الفكرة التي يستنتجها من النظرة دون تمحيص وتمعّن في تلك العبارة، وغالبا

[1]–عبد الهادي ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ط1 ، دار الكتاب الجديد ، بنغازي ليبيا ، 2004 ، ص477 .

[2]–عبد الله صولة ، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج "الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكا" ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج صمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي، جامعة الأدب والفنون والعلوم الانسانية، تونس1، كلية الأدب منوبة، ص343.

ما تكون هذه التصورات زائفة وخداعة، أمّا الحد الثاني فيقابل الحقيقة والواقع وهو المعنى الحقيقي الذي يرمي إليه الخطاب، ويحتاج إلى تحليل وتفكيك للعناصر حتى يفهم المعنى الحقيقي من الظاهر الزائف .

ونخلص في الأخير إلى أهم ما يمكن استخلاصه من تصور "بيرلمان وتيتكا" عن الحجاج هو اعتبار هذا الأخير حوار بين الخطيب وجمهوره، وأنّه ليس باستدلال شكلي فهو ضروري ولزومي ولا مغالطة أو مناورة أو تلاعب بالمشاعر والعقول ، فقد قدما أهم و أعّم تعريف للحجاج الذي جمعا فيه بين شكل الحجاج والغاية منه، وهي حجج ناجعة تعمل على تقّوية حدة الإذعان لدى السامعين وأخذ بهذا التعريف الباحثين من بعدهما، فقد عملا على الدمج بين الخطابة والجدل الأرسطي لبناء خطابة جديدة هدفها الأساسي الإقناع والتأثير، وبذلك فقد تبنيا إستراتيجية خطابية اقناعية توظف الحجاج على انّه آلية إقناع رئيسية .

2-1-ميشال مايير :

تعتبر نظرية "ميشال مايير" من النظريات المعاصرة في مجال الفلسفة والتي اهتمت بموضوع الحجاج من وجهة أخرى وهي السؤال، فقد سعى من خلال مشروعه الفكري إلى إقامة نظرية فلسفية بلاغية أساسها فكرة التساؤل والمساءلة لأنّ الوصول إلى السؤال يعد أهم خطوة في أيّ نظرية ، وانطلق مايير في ذلك من الثقافة الغربية القديمة فعاد :«إلى الفلسفة اليونانية ليبحث فيها عن نشأة السؤال الذي اقترن بميلاد الفلسفة والنظر في أبعاده

وخصوصياته»[1]، وقد توّصل "مايير"إلى أنّ دور السؤال عرف تراجعا نظرا لإهمال الفكر الديكارتي الوجودي ودعوته إلى التفكير:«ومردّ هذه الأزمة هو موت الذات الديكارتية المؤسسة للكوجيتو»[2]، فقد اهتم ديكارت بإحياء الذات من خلال البحث عن السؤال وإظهار أهميته .

ويعّرف"مايير" الحجاج بقوله« الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنه »[3]، فالحجاج عنده قائم على الصريح والضمني، ويعتبر هذا من المفاهيم الأساسية في قضية المساءلة «فالمصرح به هو ظاهر السؤال أمّا ما هو ضمني فتلك الإمكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد»[4]،وهنا تظهر إمكانات البلاغة في تحديد المعنى وارتباطها بالحجاج، إذ تعمل الاحتمالات المختلفة للإجابة التي يقصدها المتكلم من سؤاله بإحداث عدّة فروق للسؤال وبهذا يحصل التأثير والإقناع.

ويطابق "مايير" بين مفهومي الحجاج والبلاغة وربط هاذين الأخيرين بالفصاحة كونهما يهدفان في نظره لشيء واحد وهو فك الخلاف بين المتحاورين والوصول إلى نتائج إزاء إشكال أو تساءل ما.

ومن بين الأهداف التي تسعى إليها البلاغة نجد :

[1]–محمد القارصي، البلاغة والحجاج في البلاغة من نظرية المساءلة لميشلمايير ، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص389.

[2]–المرجع نفسه ،ص388.

[3]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن ،ص37.

[4]– محمد القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة ، ص395.394 .

1/ الإفهام والإفحام، وخلق القبول .

2/ الإعجاب والإغواء، أو الاستدراج والتبرير لأفكار من أجل تمريرها.

3/ تمرير قابلية الصواب، بواسطة أسباب جيدة وحجج مع اقتراح الاستنباطات.

4/ اقتراح ما هو ضمني من خلال ما هو مصرح به.

5/ استخدام لغة أدبية مجازية وأسلوبية .

6/ اكتشاف نيّات من يتكلم أو يكتب .[1]

ونستنتّج أنّ كل هذه الأهداف مجتمعة تؤدي إلى حمل المتلقي على الاقناع والقبول، وإزّالة اللّبس والغموض .

ومن خلال طرحنا لآراء "مايير" حول الحجاج نخلص أنّ الخطاب الحجاجي عنده هو عبارة عن إثارة أسئلة التي تتشكل انطلاقا من ثنائية سؤال/ جواب، كما تمحورت آرائه حول البلاغة واللغة والحجاج في إطار فلسفي .

2-1-الحجاج عند "ديكروو"انسكومبر" :

لقد قدّم كل من ديكرو وانسكومبر" نظريتهما في الحجاج من خلال كتابهما الموسوم "بالحجاج في اللغة " ،ويقوم جوهر نظريتهما على اعتبار أنّ الحجاج يكمن داخل اللغة دون سواها .

[1]-ينظر: فيليب وجوتييه، تاريخ نظريات الحجاج ، ص105.

ونظريــة الحجــاج فــي اللغــة« نظريــة لســانية تهــتم بالوســائل اللغويــة وبإمكانــات اللغــات الطبيعيــة التــي يتــوفر عليهــا المــتكلم ذلــك بقصــد توجيــه خطابــه وجهــة تمكّنــه مــن تحقيــق الأهـداف الحجاجيـة وتنطلـق مـن الفكـرة الشـائعة أننـا نـتكلم عامـة بقصـد التـأثير »[1]، فـالمتكلم أثنـاء توجيـه خطابـه يسـتعين بوسـائل وآليـات مـن اللغـة ذاتهـا قصـد تـأثيره علـى المتلقـي وحملـه علــى تبنــي وجهــة نظــره، وتعتبــر هــذه الوســائل اللغويــة ذات طبيعــة ووظيفــة حجاجيــة تســير الخطاب وتخدم الحجاج الذي يحمل هدف وغاية واحدة هي الإقناع والتأثير.

ويقـدّم ديكـرو" مفهومـا للحجـاج انطلاقـا مـن بنيـة اللغـة « إنّ الحجـاج يكـون بتقـديم المـتكلم قـولان ق1 أو مجموعـة أقـوال يفضـي إلـى التسـليم بقـول آخـر ق2 أو مجموعـة مـن الأقــوال، حيــث ق1 يمثّــل الحجــة التــي ينبغــي أن تــؤدي إلــى ق2 وق2 قــولا صــريحا أو ضــمنيا نحــو: إنّ فــي قولنــا لنخــرج إلــى النزهــة بمــا أنّ الطقــس جميــل، أو الطقــس جميــل فلنخرج . ويكون بذلك ق1 هو الطقس جميل، ق2 هو فلنخرج للنزهة.»[2]

وعلــى هــذا الأســاس يكــون الحجــاج محصــورا داخــل بنيــة اللغــة، ويقــر بــأنّ الحجــاج متجذر في اللغة ولا يمكن الفصل بينهما .

وقد اعتمد ديكرو في نظريته على مبادئ أهمها :[3]

1/ الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج .

2/ المكون الحجاجي أساسي والمكون الإخباري ثانوي.

[1]-ابوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، منتدبات سور الأزبكية، الدار البيضاء، 2006, ص14.
[2]-عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص33.
[3]–سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط3،عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011.ص55.56.

3/ عدم الفصل بين الدلاليات والتداوليات .

ودعـوة "ديكـرو" وزميلـه إلـى عـدم الفصـل بـين الـدلاليات والتـداوليات سـاهم فـي ولادة نظريـة جديـدة هـي التداوليـة المدمجـة والتـي تعتبـر أنّ التداوليـة جـزء مـدمج فـي الدلالـة إذ لا يمكـن إيجـاد دلالـة خـارج إطـار اللغـة وبـذلك كـان« مجـال البحـث عنـدهما هـو الجـزء التـداولي المـدمج فـي الدلالـة ويكـون موضـوع البحـث هـو بيـان الدلالـة التداوليـة لا الخبريـة المسـجلة فـي بنيـة اللغـة وتوضـيح شـروط اسـتعمالها »[1]، فالتخاطـب عنـد"ديكـرو وزميلـه لا يعنـي وصـف الأشـياء والإخبـار عنهـا، بـل يركـز علـى القـول اللغـوي فـي ذاتـه إذ أن اللغـة تصـف نفسـها بنفسـها وتحيـل إلـى ذاتهـا، وبـذلك فالتداوليـة المدمجـة لا تهـتم بالعوامـل الخارجـة عـن اللغة إنّما تبحث عن في القوانين التي تحكم الخطاب داخليا .

ومـن أهـم المفـاهيم التـي جـاء بهـا الباحثـان فـي نظريتهمـا نجـد مفهـوم السـلالم الحجاجيـة وأيضـا الـروابط الحجاجيـة« باعتبارهـا أدوات تسـهم فـي تحديـد العلاقـة التخاطبيـة بـين المتكلمـين مـن جهـة وبـين أطـراف الـنص مـن جهـة أخـرى، بالإضـافة الـى ذلـك اهتمـت التداولية بالسلالم الحجاجية داخل المنطوقات»[2]

[1]–شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطوالى اليوم،ص351.

[2]-رضوان الرقبي ، الإستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر،ص87.

أ-نظرية السلالم الحجاجية :

تهتم هذه النظرية بدراسة ترتيب العلاقات بين الحجج داخل التركيب وبيان درجة وأهمية كل قول، إذ أنّ المتكلم يستعمل عناصر وتراكيب لغوية متنوعة ومرتبة ترتيبا تصاعديا تجعل الكلام يتسلسل في دلالته من أجل الوصول إلى درجات من الإقناع السلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالآتي :

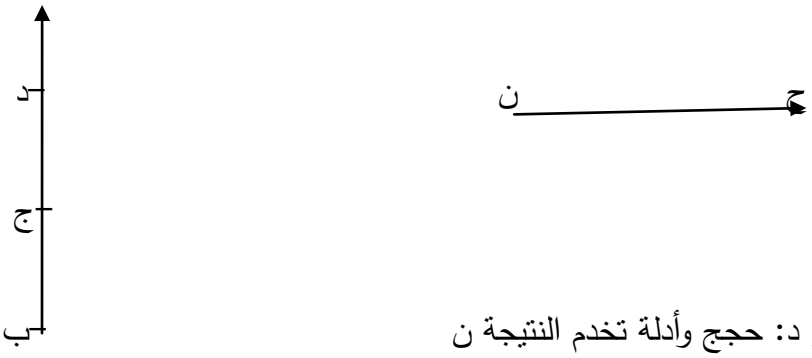

ن= نتيجة

ب و ج و د: حجج وأدلة تخدم النتيجة ن

ومثال ذلك : 1- حصل زيد على الشهادة الثانوية .

2- حصل زيد على شهادة الإجازة .

3-حصل زيد على شهادة الدكتوراه .

وبذلك يكون ترتيب السلم الحجاجي كالتالي:

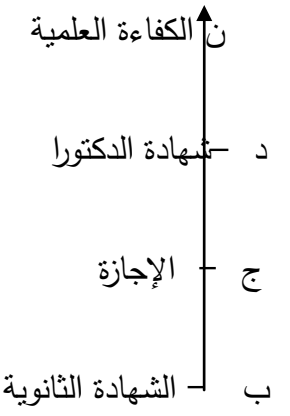

[1]-حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006، ص60.

والملاحظ أنّ هذه الأقوال تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية وكلها تخلص إلى نتيجة واحدة وهي كفاءة زيد العلمية، فكل قول هو أعلى درجة من القول الذي يليه، فشهادة الدكتوراه أقوى دليل من القول الأوّل والثاني بالنسبة للنتيجة، فهناك تفاوت في درجات القوة والضعف، إذ أنّ السلم ينطلق من أضعف حجة حتى يصل إلى أقواها لذلك سميت بالسلالم الحجاجية .

وينبني السلم الحجاجي على قوانين ثلاثة:« قانون النفي(ليس علي مجتهدا،إنّه لم ينجح في الامتحان)، قانون القلب(لم يحصل علي على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستر)،قانون الخفض أو الدونية(مثل: الجو ليس باردا، لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل)[1]، ومن هذا الطرح تظهر أهمية السلم الحجاجي في اللّغة، والمتمثلة في إعطاء الأقوال قيمة وطبيعة حجاجية بعيدا على الحيّز الإخباري وتعمل أيضا على إظهار أهمية كل قول حسب درجة قوّته و ضعفه، فالحكم على المحاجة تحكمه القوة والضعف وليس الصدق والكذب.

ب –الروابط والعوامل الحجاجية:

تشتمل اللغة على كثير من الروابط والعوامل التّي تساهم في انسجام الخطاب وترابطه، وتعمل على المستمع إلى ما يريده المتكلم من خطابه .« فالروابط الحجاجية هي التي تربط بين قولين، أو بين حجّتين على الأصّح أو أكثر، وتسند لكل قول دورا

[1]–جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص35.36.

حجاجيا محدّدا حسب السياق التداولي، ومن بين هذه الروابط: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، بما أنّ...الخ»[1]

أمّا العوامل الحجاجية« فإنّها تربط بين حجة ونتيجة، ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية لقول ما ومن بين هذه الأدوات (ربما، كاد، قليلا، تقريبا، إلاّ،إنّما)[2]

ونوضّح ذلك بالمثالين التاليين: -الساعة تشّير إلى الثامنة.

-لا تشّير الساعة إلاّ إلى الثامنة.[3]

فنلاحظ أنّ المثالين تمّيزا بنفس القيمة الإخبارية، ولكن الاختلاف يكمن في تلك الإمكانات والتأويلات التي يستنتجه السامع، ففي القول الأوّل نجده يحمل تأويلات عدّة كالتأخّر أو الدعوة إلى الإسراع..., لكّن بدخول العوامل الحجاجية لا"وإلاّ" في القول الثاني فقد تقّلصت هذه الخيارات وحصرت بها .

ونخلص إلى أن كل من الروابط والعوامل الحجاجية لها أهمية كبيرة داخل اللّغة فهي عامل لانسجام وترابط الخطاب، وكلاهما يحققان وظائف حجاجية إمّا بالربط بين عناصر القول أو بتوجيه القول وجهة ايجابية .

[1]-جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ص37.

[2]-المرجع نفسه، ص37.

[3]-ابو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص28.

2- الحجاج عند المعاصرين العرب:

2-1- حمادي صمود:

تنقسم أعمال "حمادي صمود" إلى مرحلتين، مرحلة القراءة النقدية ومرحلة الاهتمّام بالحجاج، فالمرحلة الأوّلى تمثلت في قراءته للمدّونة العربية البلاغية مركّزا على أعمال"الجاحظ " الذي يعّد أوّل من درس بلاغة البيان بالاعتماد على الحجاج والجدل المنطقي والقضايا التي عالجها في كتابه التفكير البلاغي حتى القرن السادس تتلخص «في مسألة المفاهيم التي تتمثل في ثنائية الحقيقة والمجاز، البلاغة والفصاحة، والمنهج الذي يعنى بالأسس والطرائق في تحليل الكلام من الوجهة البلاغية للوقوف على على صعيد الشكل والمضمون»[1]

"فحمادي صمود" من خلال قراءته للموروث البلاغي انصّب اهتمامه حول المفاهيم والأساليب البلاغية كالحقيقة وتوظيف المجاز والتركيز على الفصاحة، ثم تطرق إلى الطرائق والأسس الواجب إتباعها في تحليل الخطاب من استخراج السمات والخصائص البلاغية للخطاب حتى تتحدد بلاغة النص من بعديه الداخلي والخارجي، أمّا في المرحلة الثانية فقد اهتم فيها بالحجاج الذي بدأ انطلاقا من إشرافه على فريق البحث في البلاغة والحجاج في التقاليد الغربية، واهتم صمود ببلاغة الحجاج كونها أهم مسائل الدرس البلاغي الحديث ولأنها تعمل على فهم الخطاب البلاغي، والحجاج في نظره« علاقة بين طرفين أو عدّة أطراف تتأسس على اللّغة والخطاب يحاول كلا الطرفين أن يؤثر على

[1]-عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص71-72

الطرف الأخر »[1]، فالحجاج يستلزم وجود طرفين أو أكثر مع توفر لغة وخطاب، بحيث يسعى كل الطرفين التأثير في الأخر عن طريق استخدام حجج وبراهين .

ويشير الباحث أيضا إلى التطورات الحاصلة في عصرنا الحالي من ثروة اتصالية ومعلوماتية هائلة تعتمد الحجاج للتأثير في الملتقى باستخدام مختلف الأساليب البلاغية ويقول في هذا الصدد« دخل العصر في بلاغة الإشهار وعودة الخطاب ورجوع وظيفة الإقناع والتأثير بشكل لم تعرفه من قبل »[2]، إذن تعتبر الثروة الاتصالية المعلوماتية من أهم الأساليب المساعدة على عودة الخطابة التي أعتمد فيها على التأثير بمختلف الأساليب البلاغية الاقناعية كالإشهار الذي يعتمد على بلاغة الصورة المرئية كحجة مساعدة على استمالة العقول .

ومن خلال ما تطرقنا إليه نخلص إلى أن الحجاج والبلاغة المعاصرة عند "صمود" تتعدى دراسة التأثير والتأثر وتتجاوز بذلك النص والخطاب وما يطرأ عليها من تغيير وعلاقة كل منهما بالواقع والمخاطب بالإضافة إلى العلاقة التي تربطهما بالثروة التقنية التواصلية.

[1] عباس حشاني ، خطاي الحجاج والتداولية، ص72

[2] –محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص280.

2-2- محمد العمري:

لقد نظر "محمد العمري" للحجاج بطابع اقناعي متأثرا ببلاغة أرسطو، وسماه بالخطاب الاقناعي العربي، ويظهر هذا في كتابه في بلاغة الخطاب الاقناعي إذ يقول«...بدأ الحنين من جديد إلى ريطورية أرسطو التي تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدى بوسائل متنوعة حسب الأحوال»[1]، نلاحظ اهتمام الباحث بالإقناع للدور الفعّال الذي يلعبه في التأثير على الناس، فقد اعتمد على الدعائم الأرسطية لبلاغة الخطاب، وقد تناول أيضا في كتابه هذا أسس بلاغة الخطاب الاقناعي والحجج، مرورا بالمقام وصولا إلى صور الحجاج والأسلوب وترتيب أجزاء القول .

أمّا في كتابه فن الإقناع فقد تنّاول دور الحجاج في دراسة النصّوص البلاغية والخطابية، وانتّبه إلى ضرورة تقديم طريقة معيّنة ومعتمدة في تحليل الخطب وركّز في ذلك على الطريقة الحجاجية«حيث اقترح خطاطات ونماذج عملية لتحليل الخطبة تحليلا حجاجيا»[2]

ونجده قد تطّرق إلى البلاغة العربية في كتاب البلاغة العربية أصولها وامتدادها، والذي أشار فيه إلى نشأة البلاغة العربية وتطوّرها وبداياتها «البدايات التداولية، ثمّ البلاغة المدعومة بالنحو والمنطق وأخيرا البلاغة النقدية أو النقد البلاغي»[3]، فقد تحدّث الباحث عن منابت البلاغة العربية وتربتها التي انطلقت حسبه من مصدرين، النص

[1]-محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي، ص10.

[2]-صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص،ط1،منتديات سور الأزبكية، سوريا. دمشق،2008، ص45.

[3]- عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص71.

الشعري والنثري، وكذا العوامل المساعدة في ازدهارها ودور النقد البلاغية في تطوّرها، وذلك عن طريق تأمل النص مباشرة والحكم عليه بالجودة أو الرداءة.

3-2 - طه عبد الرحمن:

لقد تميّزت نظرة "طه عبد الرحمن" للحجاج بطابعها الفلسفي لأنه اعتمد في دراسته على المنطق وربطها بالنظريات الحجاجية، وعمل على المزج بين القديم العربي والحديث الغربي، وقد خصّص في كتابه "اللسان والميزان أو التكّوثر العقلي" بابا سمّاه الخطاب والحجاج، ويرى فيه« أنّ الأصل في تكّوثر الخطاب هو صفّته الحجاجية بناء على أنّه لا خطاب بغير حجاج»[1]

كمّا عرّف الحجاج بقوله:« أنّ حد الحجاج أنّه كلّ منطوق به موّجه الى الغير لافهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[2]، فالخطاب يقوم حسبه على عنصري المخاطب والمخاطب، وانّ هذا الاخير يكون في مقام المدّعي الذي يعمل علة تقديم الحجج ، في مقابل المخاطب الذي يقف في مقام المعترض لهذه الحجج.

أمّا في كتابه أصول الحوار وتجديد علم الكلام فنجده قد تطّرق الى الحجاج في صيغته الحوارية« وجعلها في مراتب ثلاث(حوار، محاورة، تحاور)[3]

[1]–طه عبد الرحمن، اللسّان والميزان او التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، بالرباط المغرب، 1998 ص213.

[2]-المرجع السابق، ص226.

[3]-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2 ، المركز الثقافي العربي، الرباط المغرب، 2000 ص31.

الفصل الثاني: آليات الحجاج في خطبة الحسن البصري

1- الآليات اللغوية/ التداولية

2-الآليات البلاغية

1-الآليات الحجاجية اللغوية:

لا تخلو خطب الحسن البصري" من الآليات الحجاجية اللغوية، التّي استعان بها قصد بلوغ كلامه مبلغا قوّيا على الأسماع والنفوس، وحتى يكون خطابه متزنا ومنسجما من جهة أخرى وسنقوم في هذا الفصل بتحليل بعض النماذج تحليلا حجاجيا تداوليا.

1-1- **تقنية التكرار**: يعتبر أسلوب التكرار أو التكرير من ابرز الأساليب الحجاجية التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحته أو قضيته، ويعرّفه السجلماني "بأنه«إعادة اللّفظ الواحد بالعدد أو النوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع في القول مرتين فصاعدا»[1]، فاستعمال أسلوب التكرار يساهم في تنامي النص وانسجامه، وهناك أنواع مختلفة للتكرار، كتكرار اللفظ وتكرار الحروف والروابط الحجاجية.

ففيما يخّص التكرار اللفظي في الخطبة فإننا نجد: لفظة" **يابن آدم**"، وقد تكرّرت ست مرات، فيما تكرّرت لفظة **هيهات هيهات، الوحاءالوحاء، النجاء النجاء.** هو توكيد لفظي وظّفه الخطيب من أجل الزيادة في التأكيد والتوضيح، فاللّفظة الأولى كان الهدف من تكرارها إثبات وإظهار أنّ الدنيا زائلة وفانية ولا يبقى من بني آدم إلاّ عمله.

وفي تكرّاره للّفظة **الدنيا**" كان غرضه دعوة الناس إلى التخلي عن الدنيا والعمل للدار الباقية.

فللتكرار قيمة فنّية ومعنوية تضيف طاقة قوية إلى الحجّج، حيث تؤثر على المتلقي وتساعد على إقناعه وحمله على الإذعان، كما أنّ هذا الأسلوب يعمل على التأكيد وترسيخ الفكرة في ذهن

[1]-محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، ط3، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء-المغرب، 2012، ص134.

المتلقي، وتكرّار اللّفظة ذاتها أكثر من مرّة يعّد أسلوب من أساليب الإقناع، وهذا ما نلحظه في خطب "الحسن البصري"، بحيث وظّف التكرار في مواضع عدّة.

2-1-الروابط والعوامل الحجاجية:

-الروابط:

إنّ وأنّ: تعمل بشكل واضح على تأكيد الخبر وتعزيزه، والذي ينجّر عنه إقناع السامع وتغيير نمط تفكيره، وقد وظّف "**إنّ**" خمس مرات في مواقع مختلفة ليقّر بصحة كلامه وتأكيدالرأيه.

ومن مواضع **إنّ وأنّ**" ما يلي:

-أما والله لا امة بعد أمتكم.

-إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمدا -صلى الله عليه وسلم- على علم منه.

-فإنها عن قليل قبرك.

-إن هذا الحق قد جهد أهله.

-اعدّوا الجواب فإنّكم مسؤولون.

-اعلم انّك لم تزل في هدم عمرك .

لكن: وردت مرّتين، وفي كلا الموضعين تفيد الاستدراك وأدّت فيه دورا حجاجيا.

- المؤمن من لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكنّه أخذه من قبل ربه.

- الإيمان ليس بالتحّلي ولا بالتمنّي، ولكنّه ما وقر في القلوب وصدّقه العمل.

ويمكن تمثيل هذه الحجج بالسلم الحجاجي التالي:

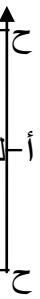

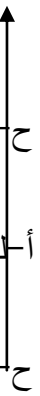

تمثّل: ح= حجّج ، أ= الأداة .

فالرابط الحجاجي **لكن**" قد أفاد الاستدراك ليزيد من القوة الحجاجية، ففي المثال الاوّل تحقّق إبطال الحجّة الأوّلى بأنّ المؤمن الحقيقي هو من يأخذ معالم دينه ممّا انزله الله على عباده قصد تسيير حياتهم وفق منهج قويم وصحيح . وكذلك بالنسبة للمثال الثاني يكمن في صدق القلب وإخلاص النية في العمل، فعملت هذهّ الحجّة على إبطال الحجّة الأوّلى بالاستعانة ب"**لكن**" .

نلاحظ من هذين المثالين أنّ الحجّة الثانية كانت استدراكا للحجّة الأولى وذلك بالاستعمال الرابط الحجاجي "**لكن**"، فكان الخبر الثاني مخالف للخبر الأوّل وعمل على إزالة الوهم الوارد فيه.

الرابط الحجاجي "**الفاء**":«هو حرف شفوي مهموس، يكون أصلا وبدلا، ولا يكون زائدا مصوغا في الكلام »[1]

وقد وردت "**الفاء**" في مواضع كثيرة من الخطبة وفي كل مرة ترد بمعنى مغاير، إما للترتيب أو التعقيب قصد الربط بين الحجة والنتيجة ،وذلك حسب السياق الذي وردت فيه.

ومثال ذلك قوله: "**إذا رأيت النّاس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيت النّاس في الشر فلا تغبطهم عليه**"، فاستعملت الفاء في مقام طلبي، حيث جاءت جوابا لجملة الشرط فربطت بين الجواب والشرط، أي بين الحجة والنتيجة، وهنا دعا "الحسن البصري" النّاس للمنافسة في فعل الخير واجتناب فعل الشّر.

ومن أمثلة ورود "**الفاء**"ما يلي:

نتيجة	الأداة	حجة
ماذا تنتظرون؟	الفاء	قد أسرع بخياركم.
يالها موعظة	الفاء	بقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم.
قد رآه غاديا ورائحا	الفاء	من رأى محمدا
شمر إليه	الفاء	رفع له علم

[1]- علي جاسم سلمان، معاني الحروف العربية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن–عمان، ص138.

أبعدهم الله واسحقهم	الفاء	رغب أقوام عن عيشته وسخطوا ما رضى له ربه
عن قليل قبرك	الفاء	طإ الأرض
تفكر اعتبر أبصر	الفاء الفاء الفاء	رحم الله رجلا نظر تفكر أبصر
إنكم مسؤولون	الفاء	اعدوا الجواب
ليس الصفو ماعاد كدرا،ولا الكدر ما عاد صفوا	الفاء	خذوا صفوا الدنيا وذروا كدرها
ذم الآخرة	الفاء	من حمد الدنيا

نلاحظ أنّ لحرف "**الفاء**" دلالات عديدة في الخطبة، اختلفت باختلاف تمّوضعها في السياق، ولكن في هذه الأمثلة لا تخرج دلالاتها عن كونها رابط بين الحجة والنتيجة، أو لتحيل إلى ما يعلّل ويفسّر مضمون النتيجة.

وسنمثل بالسلم الحجاجي لبعض هذه النماذج:

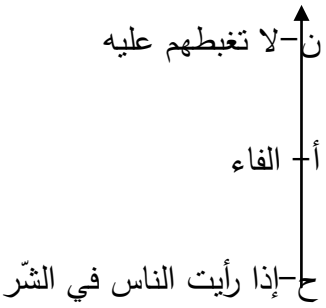

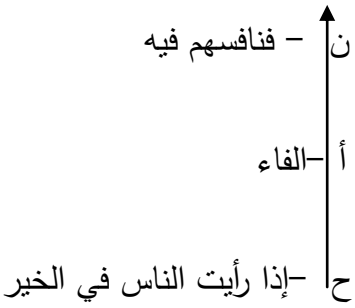

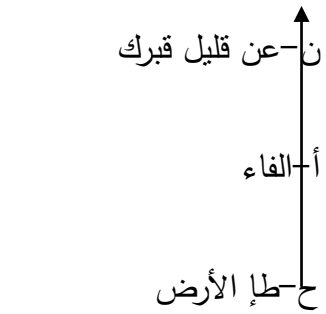

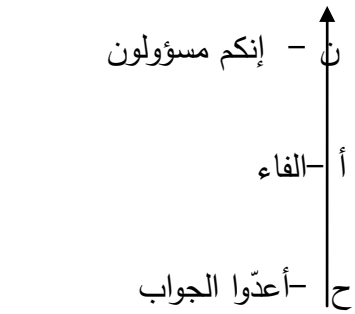

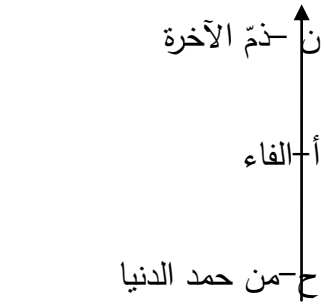

الرابط الحجاجي "الواو":

يعّد الواو رابط حجاجي، يعمل على الربط بين اجزاء الخطبة بعضها البعض، حتى يتجسد لنا نصا متماسكا لغويا ودلاليا.

وقد وظّفه "الحسن البصري" بكثرة في خطبته، بحيث تكرر حوالي 43 مرة، وبفضل هذا الرابط جاءت الحجّج متّسقة مترابطة وكل حجة تعمل على تقوّية الحجّة الأخرى، وبالإضافة للربط فقد عملت على ترتيب الحجج حسب درجة قوتها وتأثيرها. ومن أمثلة توظيف "**الواو**"نجد:«"**والله لا أمة بعد أمتكم، ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم، انتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم،وإنما ينتظر بأوّلكم أن يلحقه آخركم.**

"**إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمد-عليه الصلاة والسلام-على علم منه، اختاره لنفسه، وبعثه برسالته، وانزل عليه كتابه، وكان صفوته من خلقه، ورسوله إلى عباده.**»[1]

نلحظ أنّ "الحسن البصري" قد أدرج مجموعة من الحجج المتسلسلة والمترابطة باستعمال الرابط الحجاجي الواو الذي عمل على ترتيب ووصل الحجج بعضها البعض،كما ساوى بين الحجج والنتائج للوصول إلى نتيجة مفادها أن الله تعالى بعث نبيه ليكون آخر الأنبياء، وجعل رسالته آخر الرسالات السماوّية.

فالواو لم يقتصر دوره على الجانب النحوي فقط، بل لعب دور ووظيفة حجاجية مهمة.

الرابط قد ولقد:

لقد: وهو رابط يدخل على الفعل الماضي ليفيد التحقيق، ومن أمثلة ذلك:

-لقد كان لكم في رسول أسوة حسنة.

[1]-أحمد زكي صفوة، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، ط1، م2، وكيل كلية دار العلوم، بيروت القاهرة، 495.

-لقد رأيت أقواما كانوا من حسناتهم أن تردّ عليهم.

-لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلاّ قرّة العين.

فهذا الرابط ربط الراهن بالماضي وعمل على تحقيق ما يكون مع ما كان، وهو يقصد توجيه المتلقي ووضعه في الوقت والوضع الراهن.

قد: تعمل على الربط بين حجّتين أو قولين، وهي تستخدم للتّحقيق وتعّد لونا آخر من أنواع التوكيد التي يحفل بها كظاهرة معنوية موظفة للتبليغ والتثبيت ولفت الأنظار.نحو:

"**وانتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم.**"

رابط الشرط "**إذا**":رابط حجاجي وظّفه الخطيب بغرض إقناع المتلقي، فهو يعتبر تقنيّة تساعد في عملية إيصال الأفكار لذهن المتلقين، وقد أورده على مرتين في:

"**إذا رأيت النّاس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيت النّاس في الشّر فلا تغبطهم عليه**".

أداة ⟵ حجة ⟵ نتيجة.

إذا ⟵ رأيت النّاس في الخير ⟵ فنافسهم فيه.

إذا ⟵ رأيت النّاس في الشّر ⟵ فلا تغبطهم عليه.

العوامل الحجاجية:

رأينا سابقا أنّ الروابط الحجاجية تقوم بالربط بين ملفوظين، وفي المقابل نجد أنّ العوامل الحجاجية لا تربط بين المتغيّرات الحجاجية، فهي تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما

ومن النماذج الواردة في الخطبة ما يلي:

العامل الحجاجي "**إلاّ**": وردت إلا في المواضع التالية:

-ما كانت صحبتهم إلاّ قرّة العين.

-لا يصبر عليه إلاّ من عرف فضله.

-ليس يكره الله إلاّ مقيّم على سخطه.

قد خدمت "**إلاّ**" المعنى وزادته قوة وعملت عملا حجاجيّا، فقامت بحصر وتقييّد الإمكانات التي يمكن أن تصل إليها النتيجة، ففي المثال" الأول عمل "الحسن البصري" على حصر مكانة أصحابه في قرّة عينه، وذلك لمكانتهم الكبيرة والعالية في قلبه، وقامت بنفس العمل في الأمثلة الأخرى.

العامل الحجاجي "**إنّما**":وردت مرة واحدة نحو: "**وإنّما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم.**"

عملت إنّما على خدمة النتيجة وإثباتها، فاستعملها الخطيب لنصح وتنبيه الناس، وتذكيرهم بأنّ الموت آت وأنّ لكل منّا أجل وسيلحق بعضنا بعضا إليه.

3-1-الأفعال الكلامية:

اهتمّ الدارسون بالقول وعلاقته بالفعل في إطار الحجاج اللّغوي، فكل فعل يحدث في الواقع يعبّر عنه بلفظ في اللّغة، وتسمى الأفعال بالأفعال الكلامية، وتعرف بأنها:« أصغر وحدة تحقق فعلا عن طريق الكلام(بإصدار أمر أو طلب، أو توكيد، أو وعد..) الذي من شأنه اتخاذ تغيير في

وضعية أو موقع المتكلمين»[1] وقد تجسّدت في خطبة الحسن البصري في عدّة أنواع كالنداء، الاستفهام، الأمر، النهي، النفي، وسنقوم بتحليل بعض هذه النماذج ومعرفة أثرها الحجاجي في الخطبة.

•**النداء:**هو فعل كلامي مباشر موجه توجيها ما، ويعمل على تحفيز المرسل إليه ردة فعل اتجاه المرسل.

ويقول ابن الحاجب في"**ياء**" النداء«أنّها حقيقة في القريب والبعيد لأنّها لطلب الإقبال مطلقا وقال الزمخشري أنّها للبعيد»[2]

وقد استّعمل الخطيب حرف النداء "**يا**" وأفرط في نداء لفظة "**ابن**" مضافة إلى اسم العلم"**آدم**"وجاءت كلّها بمعنى التحذير والتأسّف والتحسّر والحزن ، وذلك لما آل إليه حال النّاس آنذاك فابتعدوا عن نهج تعاليم دين الله وسنّة نبيّه، ومن أمثلة ذلك :

-يابن آدم بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا.

-يابن آدم إذ ارأيت الناس في الخير فنافسهم فيه.

-يابن آدم طإ الأرض بقدمك فإنّها عن قليل قبر.

-يابن آدم اذكر قوله تعالى .« وكل إنسان ألزمنّاه طائره في عنقه ».

-يابن آدم الإيمان ليس بالتحلّي ولا بالتمّني.[1]

[1]-فريدة موساوي، المفاهيم الأساسية في تحليل الخطاب، ط2، عالم الكتب ، الجزائر، 2010، ص11.

[2]- جليل رشيد فالح، خطبة حجة الوداع دراسة تحليلية بلاغية، مجلة آداب الرافدين، العدد13، 2007.

فكلّ مثال كان عبارة عن حجّة قدّمها "الحسن البصري" ليلفت بها انتباه السامعين وغايته في ذلك دعوتهم إلى الانصراف عن الدنيا وشهواتها .

•**الاستفهام:** يعّد الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال الكلامية حجاجا، إذ:« أن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما.

كما يمكن أن يلطّف السؤال مابين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم.»[2]

ونجد "الحسن البصري" قد استعمل هذا الأسلوب بطرق تناسب طبيعة خطبه وكذا أحوال مستمعيه، وذلك لأغراض حجاجية وهي التأثير واستمالة العقول، وقد وظّف عبارات ذات صيغة استفهامية مباشرة، لكن غرضه لم يكن انتظار الجواب، وإنّما جاء استفهامه عن غرابة ودهشة وتعجب من حال هذه الأمّة وتمسكها بالدنيا وملذاتها.

وتجسد هذا الأسلوب في العبارات التالية:

- أنتم آخر أمّتكم، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون؟

-علام تعرجون؟

[1]-احمد زكي صفوة،جمهرة خطب العرب ص459

[2]-ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص483.

فكان هدف "الحسن البصري" من طرحه التساؤل ليس انتظار الجواب، فهو في مقام السّائل والمجيب،حيث نجده متعجبا لحال الناس وطمعهم في الدنيا وتلهفهم لها، فهو يدعوهم للعمل للآخرة وترك الدنيا وملذاتها قبل الرحيل،حيث لا ينفع ابن آدم إلاّ عمله الصالح.

فعلا الأمر والنهي:

•**الأمر**: «**الأمر يستعمل على سبيل الاستّعلاء**»[1]، ومن أمثلة ذلك في الخطبة ما يلي :

-بعّد دنياك بآخرتك .

-طإ الأرض بقدمك .

-أذكر.

-اقرأ كتابك .

-خذوا صفو الدنيا.

-ذروا كدرها.

-دعوا ما يريبكم.

-أعدّوا الجواب .

تعتبر هذه الأوامر حجج وبراهين أستعملها"الحسن البصري" لإقناع السامعين، وهو بذلك يوجههّم إلى اتخاذ النهج والطريق لنيل مرضاة الله، وقد وظّف أفعال الأمر: "**بّع، طأ، أذكّر، أقرأ، خّذ، ذّر، دّع، أعّد** "، وكلها أفعال ذات صيغة أمرية كان الهدف منها النصح والإرشاد والوعظ والملاحظ أنّه كلّما أورد حجة ألحقها بنتيجة إما مضمرة **أو** صريحة .

[1]- السكاكي ، مفتاح العلوم ،ص 318

وبذلك كان هذا الأسلوب وسيلة مساعدة للخطيب، عملت على تقّوية كلامه وعزّزت من رأيه ومكنته من استمالة عقول وقلوب المستمعين،وحمّلتهم على قبول تلك المواعظ ، فكان "الحسن البصري" في مقام الواعظ و المرشد والداعي إلى إتباع الطريق المنجية من عذاب النار وهول يوم الحساب.

•**النهي:** هو أسلوب إنشائي يكون:«**بموجبه يطلب الكف عن الفعل على وجه الاسّتعلاء**»[1] إذ كان نهي الحسن البصري للناس يقتضي منهم الامتثال إلى محتواه .

ومن أمثلة ذلك نجد: -**لا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا** .

-**إذا رأيت النّاس في الشّر فلا تغبطهم عليه.**

وجاء النهي هنا بغرض بيان العاقبة السيّئة وتحذيرهم من ذلك، فجعل منه وسيلة لمواعظه ولفت انتباه الجمع المُخاطب إلى ضرورة إتّباع نصائحه والسير عليها .

فكما سبق الحديث عن فعل الأمر ينطبق أيضا على النهى، و الأفعال المنهي عنها(**لا تبع ، لا تغبطهم**) حججّ في ذاتها عملت على نهي المتلقي بالكف عن فعلها واجتنابها، وبذلك يحصل الاقتناع بطريقة حجاجية وتكون صلة فعليّ الأمر والنهي بالحجاج وثيقة لأنهما دائما يوظّفان في مقام الدعوة ويهدفان إلى إتباع السلوك الصحيح.

•**النفي:** وكما يكون الحجاج بالنداء والأمر والنهي والاستفهام يكون كذلك بالنفي، فهو آلية الخطاب والخطيب هنا أستعمل النفي في الحجاج باعتبارها حجج بعينها لتقّوية كلامه، وتعّد أدوات النفي

[1]-عبد الجليل الشعرواي ،الحجاج في الخطابة النّبوية، ص152.

(لا، لم ،ما ، ليس) من أبرز العوامل الحجاجية باعتباره بعد أدق العوامل الحجاجية ،«**إذ يحققها المتكلم وظيفة اللّغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتلقي و تسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة ن**»[1]ونلاحظ أن الحسن قد أفرط في توظيف أدوات النفي كونها وجهة خطابه وساهمت في إثبات نتيجة (ن)ضمنية مضمرة .

ومن عبارات النفي الواردة في الخطبة ما يلي:

-لم يضع لبنة عل لبنة، ولا قصبة على قصبة.

-فقد أبصر أقوام ولم يصبروا، فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا.

-ليس الصفو ما عاد كدرا، ولا الكدر ما عاد صفوا.

-دعوا ما يريبكم إلى ما يريبكم.

-مالي اسمع حسيسا ولا أرى أنيسا

المؤمن من لم يأخذ دينه عن رأيه

-الإيمان ليس بالتحلّي ولا بالتمنّي.

فالحسن البصري في المثال التالي:"**والله لا أمّة بعد أمّتكم، ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم**"، ينفي إمكانية وجود أمّة بعد أمّة محمد، ولا نبي بعده ولا كتاب غيره، وهو يعتبر في نفس

[1]-مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ج1، العدد43، 2015، ص425.

الوقت إثبات لمقصده ومعتقده الديني، فقد استعمل الخطيب إحالة خارجية باستعماله النفي الذي يحيل بالضرورة إلى قضية مثبتة تستنتج ضمنيا من الكلام.

ونمثّل ذلك بالسلم الحجاجي التالي:

ن=إثبات أنّ الدين الإسلامي هو آخر الرسالات

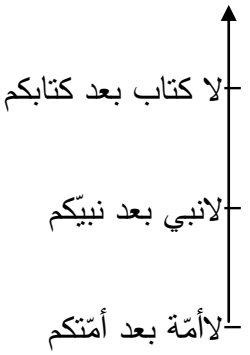

نلحظ أن السلم الحجاجي يحوي عدّة حجج لنتيجة واحدة مضمرة تفهم من سياق الكلام، مفادها عدم وجود دين بعد دين نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم.

النموذج الثاني:

يقول الحسن البصري:"**فقد أبصر أقوام ولم يصبروا، فذهب الجزع بقلوبهم ولميدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا**"، يرى البصري أن هناك أقوام على الرغم من بصرهم ومعرفتهم لطريق الحق إلاّ أنّ موت قلوبهم حال دون رجوعهم إلى الطريق الصحيح، وهو هنا في مقام النفي ولكنّه في نفس الوقت يثبت ما آلت إليه هذه الأقوام من قلّة صبر وبعد عن الدين.

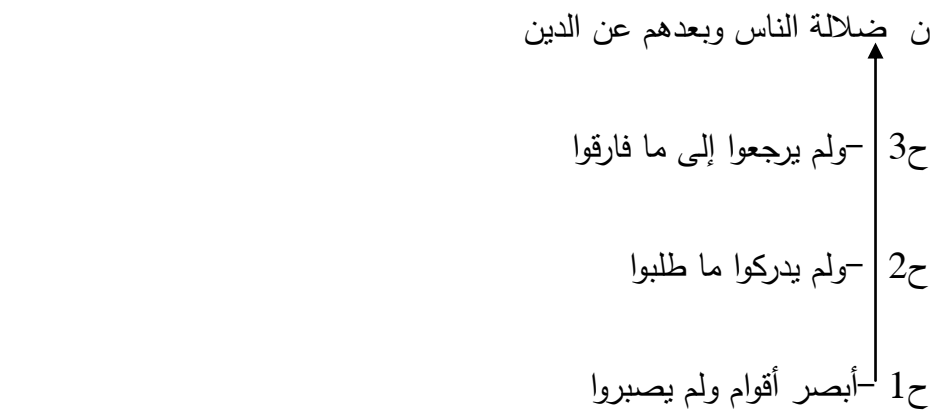

2-الآليات الحجاجية البلاغية:

1-2-من ناحية البيان:

يكتسي أسلوب "الحسن البصري"في خطبته صيغة بلاغية تأخذ بشكل الخطاب الحجاجي مآخذ عدّة، كما تسهم في إثراء صور الحجاج وحضورها في مظاهر بلاغية مختلفة تحقق خصائص الخطاب الحجاجي البلاغي، وتكتسي تأييد وقبول المتلقي بإقناعه عن طريق إشباع مشاعره وأفكاره بصور وأساليب بلاغية متعددة منها: التشبيه، الاستعارة والكناية.

1-2-2- التشبيه:« هو الدلالة على مشاركة أمر لأخر في معنى»[1], وأركان التشبيه أربعة: **المشبه، المشبه به، أداة التشبيه ووجهة»**[2]

[1]-الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،2003، ص164.

[2]-المرجع نفسه، ص202.

و ضمّن "الحسن البصري"التشبيه في خطبته مرّة واحدة وهي:" **بقيت القلائد في أعناق بني آدم**"، هو تشبيه حذف فيه أداة التشبيه وترك كل من المشبه وهو الأعمال، والمشبه به وهو القلائد ووجه الشبه وهي الأعناق التي تعلق فيها كل من القلائد والأعمال على حد سواء.

ولقد لعب هذا التشبيه دورا حجاجيا زاد من قوة الحجّة وعمل على توضيحها، وكذا زاد من الطاقة الحجاجية الاقناعية لدى المتلقي.

2-1-2-الاستعارة:

تحدّد الاستعارة بكونها مجازا قائما على التشبيه لعلاقة بينهما وتعرف:« الاستعارة هي أفضل المجاز عندهم، وأول أبواب البدي..وهي من محاسن الكلام»[1]

وعرّفها القزيني بقوله:«الاستعارة هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له » [2]

ووظّفها "الحسن البصري" في خطبته باعتبارها أبلغ من الحقيقة حجاجيا، بحيث تحدث تغيير في فكر المتلقي وعاطفته.ومن أمثلة ذلك نجد: "**بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا**"، استعارة مكنية حذف فيها المشبه به(السلعة) وترك أحد لوازمه (البيع).قامت هذه الاستعارة مقام الحجاج بحيث شبه الدنيا والآخرة بالسلعة التي تباع فتؤدي إمّا للربح أو الخسارة، ونفس الشيء بالنسبة إلى الدنيا والآخرة فإذا انصرف بني آدم إلى بيع الدنيا كان

[1]-ابن رشد القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تح، عبد الواحد شعلال، ج1، ط1، الناشر مكتبة الخانجى ، 2000، ص435.

[2]-الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة العاني والبيان والبديع، ص212.

الربح هو نصيبه أمّا إذا باع الآخرة فالخسارة هي ما سيناله، "فالحسن البصري" يسعى إلى تغيير موقف الناس والتأثير على عاطفتهم واستمالة عقولهم بهذه القوة الججاجية الجمالية.

وفي مثال آخر يقول: "**انتم تسوقون النّاس والسّاعة تسوقكم**"، حذف فيها المشبه به(السيّارة أو الإبل)، وترك ما يدل عليه وهي السياقة. وقد أورد هذا التعبير للفت انتباه الناس وإيقاظهم من غفلتهم وتنبيههم بأنّ يوم الحساب ليس ببعيد، فكما يسوق بعضهم بعضا الى القبور فكذلك الساعة منهم قريبة وهم عنها غافلون.

وقد كان لهذه الاستعارة وقع على الإسماع والأنفس لما له من قوة وطاقة بلاغية دلالية حجاجية تعمل على إعطاء المعنى قوة تأثيرية اقناعية.

3-1-2- الكناية:«هي الكلمة التي أريد بها غير معناها مع إرادة معناها، فإذا كان المعنى مراد بالغرض، فهذه هي الكناية في المفرد»[1]

وأورد الخطيب الكناية في قوله: "**ذهب النّاس وبقي النّسناس**"، وهي كناية عن تدني وانحطاط قيمة الإنسان حتى أصبح فاقدا لإنسانيته.

وقوله أيضا: "**تهاديتم الأطباق ولم تتهادوا النصائح**"، كناية عن انشغال النّاس بالدنيا وملذاتها، وغفلتهم عن نصح ووعظ بعضه البعض بما يفيدهم لأخراهم وفي قبورهم.

وبذلك تعتبر الكناية من ابرز الوسائل البلاغية الحجاجية التي تعمل على تأكيد الحجّة وتحقيقها فتحدث بذلك تأثير اوانفعالا قويا في نفسية المتلقي.

[1]-كمال الدين ميثم البحريني، أصول البلاغة، تح، الدكتور عبد القادر حسن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1981، ص73.72.

2-2- من ناحية البديع:

يلعب البديع دورا حجاجيا مهما، فكونه يعمل على زخرفة وتزيين الخطاب إلاّ أنّ الهدف الخفي والاهمّ هو الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه في التأثير.

فأساليب البديع من طباق ومقابلة، وجناس وسجع ليست موضوعة كمحسن بديعي فقط، إنّما الأصل فيها الإبلاغ والتبليغ.

1-2-2-الطباق: يعّد الطباق آلية ووسيلة حجاجية وهو« الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام وهو نوعان طباق الإيجاب وهو ما يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، وطباق السلب ما اختلف فيه الضدان إيجابا»[1] ، يستعين به الخطيب ليجعل الدلالة واضحة ومقنعة، ويعمل بها على تحسين المعنى وتنميقه، حتى يقع في ذهن القارئ موقعا يجعله يذعن لتلك القوّة الحجاجية.

ونجد أنّ الخطيب قد أكثر من استعماله للطباق في الخطبة بنوعيه بالسلب والإيجاب، وقد جاء على شكل ثنائيات مزاوجة بين الأضداد ، ويمكن اعتبار كل من هذه الثنائيات حججّ نحو:

ح1-أخرتك≠ دنياك، ح2-تربحهما≠تخسرهما، ح3-الخير≠الشّر، ح4-احّل≠حرّم، ح5حمد≠ذمّ، ح6-سيئات≠حسنات، ح7-ما يريبكم≠ مالايريبكم، ح8-تهاديتم≠لم تتهادوا.

ن=نصح وإرشاد الناس ودعوتهم إلى إتباع أوامر الله وتجنّب نواهيه لربح الدنيا والآخرة.

فغاية "الحسن البصري" هنا ليس زخرفة وتنميق القول فقط، بل من اجل بلوغ غاية حجاجية وهي إقناع المتلقي ودفعه إلى تبني تلك النصائح والعمل بها.

[1]-عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ص297.

2-2-2-المقابلة: تعّد المقابلة أيضا من الأدوات الحجاجية المؤثّرة في المتلقي والخطاب ككل ونعني به :«**أن تجمع بين شيئين متوافقين وضدهما**»[1]، ويعمل الخطيب على استحضار معنى معيّن أو أكثر ثم يورد ما يقابله، ونجد أن الحسن البصري أوردها في ثنايا كلامه في قوله:

"**بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا**"، ويظهر التقابل هنا على مستوى الحجج والنتائج ، فالحجة "**بع دنياك باخرتك**"، والنتيجة "**تربحهما جميعا**". وتقابلها "**لاتبع آخرتك بدنياك**" كحجة أيضا ونتيجتها "**تخسرهما جميعا.**"

حجة ⟵ نتيجة بع دنياك باخرتك⟵ تربحهما جميعا

حجة مقابلة ⟵ نتيجة مقابلة لا تبع آخرتك بدنياك⟵فتخسرهما جميعا

وبذلك يمكن اعتبار كل من "**بع**" و "**لاتبع**"، و"**الدنيا**" في مقابل"**الآخرة**" حجج تنبثق عنها نتائج وتعتبر النتيجة **الأولى** الربح تقابلها نتيجة مضادة وهي الخسارة، وقد قامت هذه المقابلة بوظيفة حجاجية فدعّمت المعنى وأكسبت الحجج قوة زادت في درجة تأثيرها على السامعين.

3-2-2- الجناس:«**هو تشابه الكلمتين في اللفظ**»[2]،وقد ورد هذا الأسلوب في موضعين من الخطبة:

"**مالي أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا**"، فالجناس كان على مستوى اللفظتين "**حسيسا وأنيسا**" **بحيث** اشتراكا في الحروف الثلاث الأخيرة، ونلاحظ تجانس اللفظتين على الرغم من اختلافهما في

[1]-كمال الدين ميثم البحراني، أصول البلاغة، ص82.

[2]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص429.

المعنى، إذ وقع ذلك في النفس موقعا قويا بفضل ذلك الإيقاع الموسيقي الموزون، فجعل الحجاج أكثر تأثيرا في نفسية المتلقي مما يحمّله على التسليم والإذعان.

4-2-2- السجع: يعتبر السجع من جماليات البلاغة والمحسنات البديعية اللفظية التي تضفي نوع من التخفيف على الحجاج، فتتواتر الواحدة تلوى الأخرى لتزيد المعنى قوة وثبات وجمالا أمام المتلقي وقد عرّف السجع بأنه:« السجع توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره»[1]

وورد السجع في كثير من المواضع ومن أمثلة ذلك مايلي:

-انتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم.

-لا أمّة بعد أمّتكم، ولا نبيّ بعد نبيّكم، ولا كتاب بعد كتابكم.

-الساعة تسوقكم، إنّما ينتظرون بأوّلكم ولكم أن يلحق آخركم.

-طإ الأرض بقدمك فإنّها، عن قليل قبرك، اعلم انّك لم تزل في هدم عمرك، منذ سقطت من بطن أمك.

-نظر فتفكر، تفكر فاعتبر، أبصر فصبر.

-لو تكاشفتم، ما تدافنتم، تهاديتم.

أضفى هذا الأسلوب نوعا من التخفيف مما زاد في قوة المعنى وثباته وجماله .

[1]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة المعاني والبيان والبديع،دط، دار المعارف، 1999، ص272.

ونخلص إلى أنّ الحجاج ملازم للبلاغة في بيانها وبديعها، فلا غنى للبلاغة عن الحجاج ولا غنى للحجاج عن البيان والبديع، فكل المحسنات البديعية من طباق ومقابلة وجناس وسجع تقوم في الحجاج فتعمل على تدعيمه من الناحية الجمالية، وبذلك كل هذه الأساليب وتضافرها مع الحجاج دعوة لنجاحه، فيحقق بذلك مقصد المتكلم في إقناع المتلقي.

5-2-2- متضمنات القول:

يعدّ الشاهد من ابرز الحجج القوّية والجاهزة التي يستعين بها المتكلم للوصول إلى أهدافه وأغراضه الحجاجية، وقد تناولت الخطابة العربية بكثرة هذه التقنية الحجاجية، وذلك لشيوعها بين الخطباء

وقد شمل الاقتباس من القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، الشعر والأمثال والحكم، وهذا ما يصطلح عليه في التداولية والنقد الأدبي باسم التناص.

واعتمد "الحسن البصري" هذا النوع من الحجج باعتبارها قوّة حجاجية مؤثرة، يستطيع من خلالها إقناع الجمهور.

1-**القرآن الكريم**:وذلك في قوله

تعالى:"ﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾ الإسراء: ٣١ - ٤١"،[1]

استدّل الخطيب بهذه الآية القرآنية لأنها أقوى حجة وأفضل دليل لإقناع الجمع المخاطب، وهي حجّة قوّية لا يمكن التشكيك فيها أو الاعتراض عليها لأنّها كلام الله عزّوجل المنزّه عن كل خطأ. وقد استعملها الحسن البصري هنا لكي يذكّر وينبه النّاس إلى أن كل إنسان لديه كتاب تدوّن فيه كل الأعمال، وسيلقاها يوم الحساب، لتحاسب كل نفس على ماعملت، فعلى كل إنسان يقول أن

[1]-"سورة الإسراء الآية 13-14.

يحاسب نفسه ويراجع أعماله قبل أن يدركه يوم لا ينفع ندم أو مناجاة، وقد كان القرآن الكريم أقوى برهان وابلغ حجّة ساعدت الخطيب على التأثير في السامعين واستمالة عقولهم، واستناده لهذه الآية الحجاجية ما هو إلاّ تأكيد لصحّة كلامه واستنتاجاته، فالقرآن الكريم كان المنبع الأول للشريعة الإسلامية التي لا يشوبها شك أو تزييف.

وتجسد في قوله تعالى:«لقد كان لكم في رسول الله **أسوة حسنة** »، ويعتبر كلام الرسول صلى الله عليه وسلم حجة قوّية استعملها الخطيب بغرض إقناع سامعيه، فاستدل بهذا الاية ليرغب النّاس على إتباع سنّة وهدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كونه يعّد أحسن قدوة يمكن الاقتداء بها، فكل ما جاء به الرسول الكريم من تشريعات وأحكام تعتبر أسس تسير حياة الفرد داخل المجتمع وفق منهج منهج ديني قويم.

وبذلك يمكن اعتبار هذا الاستشهاد حجة قوّية دعّمت نتيجة ضمنية، وهي الدعوة إلى إتباع هدي الرسول وسنّته والعمل بها لنيل رضا الله تعالى.

3- الشاهد من قول الصحابة: ومثال ذلك قول "عمر ابن الخطاب" رضي الله عنه:« **رحم الله امرئ أهدى لنا مساوئنا» فقد** استشهد الحسن البصري" بقول عمر ابن الخطاب ليدعّم رأيه ويقوّيه وحتى يزيد في درجة إذعان الجمهور المتلقي، وما دفعه للاستشهاد بهذا القول هو لتفشي ظاهرة حب الدنيا والانشغال بالأنفس، وانعدام النصح والإرشاد بين الناس وانصرافهم إلى جمع الأموال والتمتع بالدنيا وملذاتها، فغاب بذلك التراحم والتعايش وانعدم الوعظ والنصح فيما بينهم.

الخطبة الثانية:

الروابط والعوامل الحجاجية:

الروابط:– حروف الجر:(في ، عن ، الباء) وقد عملت على إحداث الترابط والتماسك بين أجزاء الخطبة.

"**عن**":وردت في قوله: "**عمّ ألهاكم؟ عن دار الخلود**"، وهنا ربطت بين السؤال وجوابه.

"**في**": وردت في ثلاث مواضع منها: "**تنفق مثل دينك في شهواتك سرفا**" ، "**تمنع في حق الله درهما**"

الباء:وردت في قوله: "**فاعتبروا إنكارهم ربهم، بأعمالهم الخبيثة** "

–حروف العطف:

الفاء:ومثال ذلك: **الناس ثلاث: مؤمن، كافر، منافق: فأمّا المؤمن، فقد ألجمه الخوف...أمّا الكافر، فقد قمعه السّيف وشرّده الخوف، فأذعن بالجزية،...أمّا المنافق ففي الحجرات...**

جاءت الفاء هنا تفسّر وتشرح وتعلّل مضمون النتيجة.**الواو:** ورد الواو في مواقع عدّة من الخطبة، ومن أمثلة ذلك: ..**وجنّة لا تبيد**/ وهتك الستر وأبدى العوار/ مؤمن وكافر ومنافق، وكلها جاءت بغرض الجمع والربط بين أجزاء الكلام لتكون بذلك خطبة متماسكة مترابطة في بينها.**ثم**:وذلك في قوله: "**ويلك قتلت ولية، ثمّ تتمنى عليه جنّته**"

العامل الحجاجي أما: وذلك في قوله: **أما المؤمن/ أما الكافر/ أما المنافق .**

الاستفهام:في قوله: عمّ ألهاكم؟، استهل"الحسن" البصري خطبته باستفهام، وقف فيه مقام المستفسر والمندهش عن الشيء الذي يدفع الناس للتخلي عن الدار الآخرة واستبدالها بالدنيا الفانية.

ويلك؟ قتلت وليّه، ثمّ تتمنى عليه جنّته؟،جاء الاستفهام للتوبيخ والعتاب والتهديد وكذا التعجبمن حال المنافقين الذين يظهرون خلاف لما يضمرون مثل من قتل نفسا ويتمنى لها الجنة.

القسم:في قوله: هذا والله فضح القوم.**الطباق:** في قوله: فضح ≠ستر، كافر ≠منافق، يسرون ≠يعلنون، يضمرون ≠يظهرون.

السجع: نحو: تنفق مثل دينك في شهواتك.

الخطبة الثالثة: الروابط الحجاجية:

كثر استعمال الروابط الحجاجية في هذه الخطبة مثل(الفاء، الواو، إنّ، وحروف الجر)، وقد عملت كلها على الربط بين الحجج ونتائجها وكذا تأكيدها لإحداث الاتساق والانسجام بين أجزاء الكلام.

التكرار:وظّف الخطيب التكرار في مواضع متتّالية من الخطبة نحو: "ياأهلي: صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكنكم مساكنكم."وذلك ليزيد من قوة التأثير على أسماع المتلقين، "فالحسن البصري" يقف مقام الناصح والمرشد للناس، فهو ينصح قومه ويدعوهم لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وإكرام الجار، والتآخي فيما بينهم حتى ينالوا رحمة الله تعالى.

النداء: وقد ورد على مرتين في الخطبة، وذلك في قوله: ياأهلي/ يابن آدم، فاستعمله بغرض الدعوة والنصح في المثال الأوّل، وبغرض التعجب والاستفهام في المثال الثاني.

الاستفهام:نحو:كيف تكون مسلما ولم سلم منك جارك، وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس.

جاء الاستفهام بغرض التعجب والاستغراب من وجود أناس يدّعون الإسلام والإيمان، ولم يسلم منهم الجار ولم يأمنهم الناس، فالحسن البصري يعاتبهم على ماهم فيه من ضلال وغفلة.

الطباق: نحو: وافقه≠خالفه

السجع:في قوله:" صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكنكم مساكنكم، لعل الله يرحمكم"

الجناس:في قوله: مسلم/ يسلم

الاستشهاد: قوله تعالى:" وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وكان عند ربّه مرضيا"، فالاستشهاد بالقرآن الكريم أقوى حجّة يلجأ إليها الخطيب من أجل تقوية آراءه، وزيادة الإذعان لدى متلقيه.

الخطبة الرابعة:

أدرج مجموعة من الروابط منها(حروف الجر والعطف، إذا وإن).

النفي: ورد في: لا يستحق/ لا يعيب/ لا يأمر، جاء بغرض دعوة النّاس وتحذيرهم من عدم الانشغال بعيوب الناس دعوتهم بإصلاح أنفسهم أولا.

النهي: في قوله: –فلا تحقرنّ شيئا من الخير وإن صغر.

–ولا تحقرنّ شيئا من الشّر وإن صغر.

فالخطيب ينهي الناس من عدم الاستهانة بصغر أي عمل، سواء كان خيرا أم شرا.

الطباق: في قوله: الشر≠ الخير، سرّك≠ساءك.

الخطبة الخامسة:

من الروابط الحجاجية التي استعان بها (الباء، الواو، الفاء).

واستعمل مجموعة من الأفعال الكلامية نحو: النفي، النهي، القسم، التحذير والنداء، وكلها جاءت بغرض لفت انتباه أنظار مستمعيه إلى ما يدعو إليه، فعملت على تأكيد رأيه وزيادة قوته.

الاستعارة:وذلك في قوله: –يفترشون خدودهم.

– تجري دموعهم على خدودهم.

في المثال استعارة مكنية حذف فيها المشبه به وهو الإنسان، وترك ما يدّل عليه وهو الخد، وأيضا في الاستعارة الثانية، جاءت استعارة مكنية حذف فيها المشبه به هو الإنسان وترك شيء من صفاته وهو الجري.

الطباق: ورد في قوله : كسب≠انفق ، حسنة ≠ سيئة ، يأخذ ≠يترك، سرّتهم≠ساءتهم

يغنيك ≠ لا يغيك، يكفيك ≠ ما يكفيك.

المقابلة: ومثال ذلك: "إذا عملوا الحسنة سرتهم....وإذا عملوا السيئة ساءتهم.

"إن كان الله لا يغنيك ما يكفيك فليس هاهنا شيء يغنيك، وإن كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك"

تعتبر إن كان يغنيك ما يكفيك حجة تتبعها نتيجة "ن" وهي عدم الغنى ، وفي المقابل هناك حجة مقابلة وهي إن كان يغنيك ما يكفيك تليها نتيجة مقابلة وهي الغنى ولو بالقليل.

الخطبة السادسة :

الروابط الحجاجية الواردة فيها (إن، قد، الواو). فعملت على تقوية المعنى وتأكيده والربط بين أجزاء الكلام حتى يقوي من درجة إذعان الجمع المخاطب .

النفي:فيقوله:"لا أذهب إلى من يواري غنى غناه"

الطباق: في قوله : غناه ≠فقره ، يغلق≠ يفتح.

الخطبة السابعة :

وظّف الخطيب مجموعة من الروابط الحجاجية ساهمت في انسجام الخطبة وترابطها نحو (عن، إلى، من، ما، الواو، الفاء، إلا، اللام)

كمّا وظّف أيضا أسلوبا لأمر والنداء والنفي في مواضع مختلفة من الخطبة .

الطباق: من أمثلته: دنيا≠آخرة / مترف ≠ أفقر/ منافق≠مؤمن / أصبح ≠ ما أصبح.

الخطبة الثامنة:

أدرج مجموعة من الروابط الحجاجية ساعدته على الربط بين الحجج ونتائجها وزادت من تماسكها واتساقها، منها:(الواو، قد ،الفاء، أو ، إن ،الباء، في)

القسم: مثال ذلك قوله: أما والله أن لو كشف الغطاء ، لشغل محسن بإحسانه، ومسيء بإساءته.

استعان الخطيب بأسلوب القسم لينبّه النّاس لأمر عظيم وهو يوم الحساب، الذي تكشف فيه الأعمال ، فلو أتيح للإنسان رؤية هول ذلك اليوم لانشغل كل إنسان بنفسه ، وانصرف عن الدنيا وما فيها.

وفي الأخير أفضى البحث إلى جملة من النتائج سنوجزها فيما يلي:

– تعدّدت دلالات الحجاج وظهر بمعاني وتسميات مختلفة، كالحوار والجدل والمناظرة فاعتمدت الحركة السفسطائية على توظيف سلطة القول، أمّا عند أرسطو وأفلاطون" ارتبط بالبلاغة والجدل، كما تمثّل عند العرب في التوجه البلاغي الخطابي لدى "الجاحظ" والتوجه البلاغي المنطقي لدى "السكاكي"، أمّا عند علماء الكلام والأصول فتمثل في الجدل من خلال دراستهم للخطاب القرآني.

– ظهور البلاغة الجديدة على يد كل من "بيرلمان وتيتكا" اللّذان عملا على إحياء التراث اليوناني القديم وقراءته قراءة جديدة تواكب روح العصر، وذلك من خلال كتابه (مصنّف في الحجاج "البلاغة الجديدة")

– اعتبار أنّ الحجاج يكمن داخل اللغة دون سواها، وذلك من خلال نظرية الحجاج في اللغة التي جاءت على يد كل من "ديكرو وانسكومبر"، والتي انبثق منها ما يعرف بالتداولية المدمجة وكذا السلالم والروابط الحجاجية.

– ويضاف إلى ذلك دراسة "ميشال مايير" حول نظرية المساءلة.

ومن بين ما تمّ التوّصل إليه أيضا نجد:

–اتفاق كل من البلاغة العربية القديمة والبلاغة الجديدة في التأثير على المتلقين، فالأولى تقوم على الإفهام والتأثير كما سبق الحديث عنها، فإنّ دور البلاغة الجديدة تقوم هي الأخرى على التأثير في النفوس عن طريق عرض الحجج .

–وظّف الحسن البصري في خطبه جّل التقنيات الحجاجية، فكانت غنية بالأدلة والحجج.

ومن الآليات الحجاجية التي اعتمد عليها نجد:

-تعددت الآليات اللغوية في خطبه من تكرار وتوكيد، وتوظيف للروابط و العوامل الحجاجية التي تحدث عنها ديكرو"، (الواو، الفاء، إنّ، لكن، قد ولقد، إلاّ، إنّما...) بالإضافة إلى توظيفه للأفعال الكلامية (النداء، النهي، النفي، الأمر، الاستفهام والقسم) ونجد أن كل هذه الآليات لعبت دورا حجاجيا ساهم في تأدية المعنى وتأكيده، وانسجام الخطاب وتوجيهه توجيها حجاجيا قصد الإفهام والتأثير، ولفت انتباه السامعين وحملهم على تغيير وجهات نظرهم.

-كما تنوعت الآليات والأشكال الحجاجية في خطب الحسن البصري وذلك من خلال توظيفه(للتشبيه والاستعارة، والكناية)، فهذه الصور البيانية تعرف عند "بيرلمان" بالتمثيل فقد كان اهتمامه بها شديد وأعطاها دورا مهما في الحجاج، نظرا لما تحدثه من تأثير في النفوس، وعملها على تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي، فيتفاعل معها ويستجيب لها.

- كما استخدم الحسن البصري المحسنات البديعية (طباق، مقابلة ، سجع، جناس) فكانت له عونا في عملية إقناع المتلقين والعمل على زيادة درجة إذعان الجمهور المخاطب .

-بالإضافة إلى هذا نلاحظ استعمال الحسن البصري متضمنات القول، التي تمثلت في التضمين من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأقوال الصحابة، وبذالك يكون تأثيره على المتلقين أكبر.

-كما كانت الحجج شبه منطقية أو ما يعرف بالسلالم الحجاجية حاضرة في خطب الحسن البصري"، فعملت على التدرج في الحجج الواردة من قوية إلى ضعيفة، وذلك من أجل زيادة درجة التأثير والإقناع.

وبذلك نخلص إلى أنّ هذه الأساليب والآليات الحجاجية المعتمدة قد لعبت دورا كبيرا من الناحية الجمالية الإقناعية التأثيرية، وذلك لما تحمله من طاقة حجاجية عالية.

خطبة الحسن البصري :

قال الحسن البصري رحّمه الله:

«يابن آدم: بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا. يابن آدم: إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه، الثواء هاهنا قليل، والبقاء هناك طويل، أمّتكم آخر الأمم، وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم، فماذا تنتظرون المعاينة فكان قد، هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحاليها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بنى آدم. فيالها موعظة لو وافقت نمن القلوب حياة أمّا إنّه والله لا أمة بعد أمتكم، ولا نبي بعد نبيّكم، ولا كتاب بعد كتابكم، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وإنّما ينتظر بأوّلكم أن يلحقه آخركم، من رأى محمدا صلى الله عليه وسلّم فقد رآه غاديا ورائحا، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، رفع له علم فشمّر، فالوحاء الوحاء، والنجاء النجاء علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة قد أسرع بخياركم: وأنتم كل يوم ترذلون، فماذا تنتظرون إنّ الله تبارك وتعالى بعث محمدا عليه الصلاة والسلام على علم منه، اختاره لنفسه،وبعثه برسالته، وانزل عليه كتابه، وكان صفوته من خلقه، ورسوله إلى عباده، ثمّ وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض، وآتاه منها قوتا وبلغة، ثمّ قال:« لقد كان لكم في رسول أسوة حسنة».فرغب أقوام عن عيشه، وسخطوا ما رضى له ربه، فأبعدهم الله وأسحقهم .

يابن آدم: طأ الأرض بقدمك، فإنها عن قليل قبرك، واعلم أنّك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمّك. رحم الله رجلا نظر فتفكر، وتفكّر فاعتبر، وأبصر فصبر، فقد أبصر أقوام ولم يصبروا، فذهب الجزع بقلوبهم، ولم يدركوا ما طلبوا، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا.

يابن آدم: اذكر قوله:«وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ كتابك، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا».عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك، خذوا صفا الدنيا، وذروا كدرها، فليس الصفو ما عاد كدرا، ولا الكدر ما عاد صفوا، دعوا ما يريبكم إلى مالا يريبكم، ظهر الجفاء وقلّت العلماء، وعفت السنة، وشاعت البدعة، لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلاّ قرّة العين، وجلاء الصدور، ولقد رأيت أقواما كانوا–من حسناتهم أنّ تردّ عليهم –أشفق منكم–من سيّئاتكم أن تعذبوا عليها –،وكانوا فيما أحلّ الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرّم الله عليكم منها، مالي أسمع حسيسا، ولا أرى

أنيسا ذهب النّاس وبقي النسناس، لو تكاشفتم ما تدافنتم، تهاديتم الأطباق ولم تتهادو النصائح، قال ابن الخطاب:«رحم الله أمرأ أهدى إلينا مساؤينا »أعدوا الجواب، فإنّكم مسؤولون، المؤمن من لم يأخذ عن رأيه، ولكّنه أخذه من قبل ربّه، إنّ هذا الحق قد جهد أهله، وحال بينهم وبين شهواتهم، وما يصبر عليه إلاّ من عرف فضله، ورجا عاقبته، فمن حمد الدنيا ذمّ الآخرة، وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على سخطه.

يابن آدم: الإيمان ليس بالتحلي ولا التمني، ولكنه ما وقر في القلوب ، وصدّقه العمل.

الخطبة الثانية:

وكان إذا قرأ:« ألهاكم التكاثر» قال:

عمّ ألهاكم التكاثر؟ عن دار الخلود، وجنّة لا تبيد، هذا والله فضح القوم، وهتك الستر، وأبدى العوار،تنفق مثل دينك في شهواتك سرفا، وتمنع في حق الله درهما ستعلم يا لكع، الناس ثلاثة: مؤمن، كافر، ومنافق، فأمّا المؤمن: فقد ألجمه الخوف وقوّمه ذكر العرض، وأماّ الكافر: فقد قمعه السيف، وشرّده الخوف، فأذعن بالجزية، وسمح بالضريبة، وأمّا المنافق: ففي الحجرات والطرقات، يسيرون غير ما يعلنون، ويضمرون غير ما يظهرون، فاعتبروا إنكارهم ربهم، بأعمالهم الخبيثة، ويلك؟ قتلت وليه، ثمّ تتمنّى عليه جنته؟

الخطبة الثالثة:

وكان يقول: «رحم الله رجلا خلا بكتاب الله، فعرض عليه نفسه، فإن وافقه حمد ربّه، وسأله الزيادة من فضله، وإن خالفه أعتب وأناب، وراجع من قريب، رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله فقال:«صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكينكم مساكينكم، لعل الله يرحمكم، فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده، فقال:« وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وكان عند ربه مرضيا». يابن آدم: كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك، وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس؟» .

الخطبة الرابعة:

وكان يقول:« لا يستحق أحد حقيقة الإيمان، حتى لا يغيب الناس بعيب هو فيه ولا **يأمر** بإصلاح عيوبهم، حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه، فإنّه إذا فعل ذلك لم يصلح عيبا إلاّ وجد في

نفسه عيبا آخر ينبغي له أن يصلحه، فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره، وانّك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره، فلا تحقرّن شيئا من الشر وإن صغر فإنّك إذا رأيته ساءك **مكانه.**

الخطبة الخامسة:

وكان يقول: « رحم الله عبدا كسب طيبا، وانفق قصدا، وقدّم فضلا، وجّهوا هذه الفضول حيث وجهها الله، وضعوها حيث أمر الله، فإنّ من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم، ويؤثرون بالفضل، إلا إن هذا الموت قد أضّر بالدنيا ففضحها، فلا والله ما وجدا ذو لب فيها فرحا، فإياكم وهذه السبل المتفرقة، التي جماعها الضلالة، وميعادها النار، أدركت من صدر هذه الأمة قوما كانوا إذا جنّهم الليل فقيام على أطرافهم، يفترشون خدودهم، جري دموعهم على خدودهم، يناجون مولاهم في فكاك رقباهم، إذا عملوا الحسنة سرّتهم، وسألوا الله أن يتقبلها منهم، وإذا عملوا سيئة ساءتهم، وسألوا الله أن يغفرها لهم، يابن آدم: إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس هاهنا شيء يغنيك، وإن كان يغنيك مايكفيك، فالقليل من الدنيا يكفيك، يابن آدم: لا تعمل شيء من الحق رياء، ولا تتركه حياء»

الخطبة السادسة:

وكان يقول:« إن العلماء قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا، وكانوا يقضون بعلمهم على الدنيا مالا يقضي أهل الدنيا بدنياهم فيها، وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة ف علمهم، فأصبح اليوم أهل العلم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم، فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم، وزهدوا في علمهم، لما رأوا من سوء موضعه» وكان يقول: لا أذهب إلى من يواري غنى غناه،

ويبدي دونى بابه، ويمنعني ما عنده، وأدع من يفتح لي بابه، ويبدي لي غناه، ويدعوني إلى ما عنده.»

الخطبة السابعة:

وكان يقول:« يابن آدم، لاغنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر،مؤمن مهتم، وعلج أغتم، وأعرابي لا فقه له، ومنافق مكذّب، ودنياوي مترف، نعق بهم ناعق فاتبعوه، فراش نار، وذبّان طمع، والذي نفس الحسن بيده، ما أصبح في هذه القرية مؤمن إلاّ أصبح مهموما حزينا، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله، الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بلاء صاروا إلى حقائقهم، فصار المؤمن إلى إيمانه، والمنافق إلى نفاقه، أي قوم: إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم، فسارعوا إلى ربكم، فإنّه ليس لمؤمن راحة دون الجنّة، ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ

من نفسه، وكانت المحاسبة من همّه»

الخطبة الثامنة:

وقال في يوم فطر– وقد رأى الناس وهيئاتهم–: إنّ الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته غلى مرضاته، فسبق أقوام، ففازوا وتخلّف آخرون فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاعب، في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، أما والله أن لو كشف الغطاء، لشغل محسن بإحسانه، ومسيء بإساءته، عن ترجيل شعر، أو تجديد ثوب»[1]

[1]- أحمد زكي صفوة، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، م1، ط1، وكيل كلية دار العلوم، بيروت القاهرة، 1933.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- أبو الحسن إسحاق ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق وتقديم جفنى محمد شرف دط ،مطبعة الرسالة، 1930.

3- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، ط3، دار الغرب الإسلامية، بيروت لبنان، 2001.

4- أحمد أمين زكي ونجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، ط2، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة، 1935.

5- أحمد زكي صفوة، جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، م1، ط1، وكيل كلية دار العلوم، بيروت القاهرة، 1933.

6- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، ط7، الناشر مكتبة الخانجي القاهرة، 1998.

7- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003.

8- السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزو، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1987.

9- ابن رشيد القيرواني، العمدة في محاسن الشعر نقده، تح:عبد الواحد شعلان، ج1، ط1 الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة.

10- تقي الدين علي، خزانة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام سعيتو، ج1، ط1، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، 1987.

11- جميل حمداوي، نظريات الحجاج، شبكة الألولة، المغرب.

12- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، (دط) جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس1، كلية الآداب منوبة.

13- حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، 2006.

14- خلود العموش، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ط1، عالم الكتب الحديث، الجدارا للكتاب العالمي.

15- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2011.

16- صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ط1، منتديات سور الأزبكية، سوريا دمشق، 2008.

17- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الرباط المغرب، 1998.

18- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي، الرباط المغرب، 2000.

19-عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014.

20- عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن 2014.

21- عبد الله صولة ، الحجاج في القران من خلال خصائصه الأسلوبية، ط1، دار الفارابي بيروت-لبنان،2001.

22-عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ط1، مسكيلياني للنشر، تونس2011.

23- عبد الهادي ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد، بنغازي-ليبيا، 2004.

24- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان و المعاني و البديع، دط، دار المعارف، 1999.

25- علي جاسم سلمان، معاني الحروف العربية، دط، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن عمان.

26- فريدة موساوي، المفاهيم الأساسية في تحليل الخطاب،ط2، عالم الكتب للنشر، الجزائر 2010.

27- فيليب وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر:محمد صالحن ناجي الغامدي ،ط1، مركز النشر العلمي، جدة المملكة السعودية.

28- كمال الدين ميثم البحراني، أصول البلاغة، تح: عبد القادر حسين، دار الشروق القاهرة-بيروت، 1980.

29- محمد أحمد قاسمو محي الديب، علوم اللغة، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس -لبنان 2003.

30- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الاقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية ط2، منتديات سور الأزبكية، إفريقيا الشرق.

31- محمد العمري، البلاغة العربية امتداداتها وأصولها، دط، إفريقيا الشرق، بيروت لبنان، 1999.

32- محمد حسن مهدي بخيت، المنطق الأرسطي بين القبول والرفض،ط1، عالم الكتب الحديثا ربد-الأردن، 2014.

33- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط3، مركز الثقافي العربي، دار البيضاء المغرب،2012.

34- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، 2008.

مجلات :

35- جليل رشيد فالح، خطبة حجة الوداع، دراسة تحليلية بلاغية، مجلة آداب الرافدين، العدد13،2007.

36- رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات إشتغاله، مجلة عالم الفكر.

37- مجلة كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد، ج1، العدد43، 2015.

فهرس الموضوعات

المقدمة.....أ–ب

الفصل الأوّل: في مفهوم نظرية الحجاج.

المبحث الأوّل: الحجاج بمفهومه العام.

1–الحجاج في التراث الغربي.....04

1–1–عند السفسطاء.....04

1–2–عند أفلاطون.....07

1–3–عند أرسطو.....08

2–الحجاج في التراث العربي.....09

2–1–عند الجاحظ.....10

2–2–عند السكاكي.....13

2–3–عند علماء الأصول والكلام.....15

المبحث الثاني: الحجاج من منظور البلاغة الجديدة والتداولية.

1–الحجاج عند علماء الغرب.....18

1–1–عند بيرلمان وتيتكا.....18

1–2–عند ميشال مايير.....23

1–3–عند ديكرو وانسكومبر.....25

2–الحجاج عند المعاصرين العرب.....31

2–1–عند حمادي صمود.....31

2–2–عند محمد العمري.....33

2–3–عند طه عبد الرحمن.....34

الفصل الثاني: الآليات الحجاجية في خطب الحسن البصري.

1-الآليات الحجاجية اللغوية/التداولية.....36

1-1-التكرار.....36

1-2-الروابط والعوامل الحجاجية.....37

1-3-الأفعال الكلامية.....44

2-الآليات الحجاجية البلاغية.....51

1-2-من ناحية البيان.

1-1-2-التشبيه.....51

2-1-2-الاستعارة.....52

3-1-2-الكناية.....53

2-2- من ناحية البديع.

1-2-2-الطباق.....54

2-2-2-المقابلة.....55

3-2-2-الجناس.....55

4-2-2-السجع.....56

5-2-2-متضمنات القول.....57

الخاتمة.....65

ملاحق.....69

قائمة المصادر والمراجع.....75